# تفسير آيات النداءات الإلهية
# في سورة الأنفال المدنية
## تفسيرا وسيطا

د/ فتحي أحمد علي حسن
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأيده بالمعجزات ، ففتح الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ، ثم قبضه الله إليه راضيا مرضيا ، بعد أن بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك

وبعد

فإن القرآن عصمة لمن اعتصم به، وحرز من النار لمن اتبعه ونور لمن استنار به، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين.

أمر الله خلقه أن يؤمنوا به، ويعملوا بمحكمه، فيحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويؤمنوا بمتشابهه، ويعتبروا بأمثاله، ويقولوا:

(آمنا به كُلٌ من عند ربنا).

ثم وعدهم على تلاوته والعمل به: النجاة من النار والدخول إلى الجنة ثم ندب خلقه عز وجل إذا هم تلوا كتابه أن يتدبروه ويتفكروا فيه بقلوبهم، وإذا سمعوه من غيرهم: أحسنوا استماعه.ثم وعدهم على ذلك الثواب الجزيل فله الحمد.

ثم أعلم خلقه: أن من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم فإنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.

ولا ريب فإن القرآن الكريم أساس العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع فيه سبحانه علم كل شيء ، وأبان فيه كل هدي وغي ، فذي كل ذي فن منه يستمد ، وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويعرف حكم الحلال والحرام ، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه ، وفيه من القصص والأخبار ، ما يذكر أولي الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ، ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، فالشرف كل الشرف لمن صرف همته إليه ، ووقف فكره وعزمه عليه ، والموفق من وفقه الله لتدبره ، واصطفاه للتذكير به وتذكره ، كما قال سبحانه: " أفلا يتدبرون القرآن "(١).

قال محمد بن الحسين " ألا ترون رحمكم الله إلى مولاكم الكريم كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبر كلامه عرف الرب عز وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره مولاه الكريم، ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاء، فاستغنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همه عند التلاوة السورة إذا افتتحها: متى أتعظ بما أتلوه؟ ولم يكن مراده متى أختم السورة؟ وإنما مراده متى أعقل من الله الخطاب؟ متى أزدجر؟ متى أعتبر؟ لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، " (٢).

وإنا لنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من هؤلاء المتدبرين لآياته ، الواقفين على آلائه وإني لا أدعي لنفسي فضلا ولا سبقا في البحث فيى التفسير الموضوعى وإنما هي تأملات ونظرات اسأل الله لها

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٢.

(٢) أخلاق أهل القرآن ٣/١ للإمام محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري الثانية – دار لقمان ١٩٩٤ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محاولة متواضعة لتدبر بعض آيات الكتاب العزيز، والوقوف - بقدر طاقتي البشرية - على مراد الله تعالى في تلك الآيات، أردت به المساهمة - ولو بشيء قليل - في خدمة العلم.

فإن كنتُ وفّقتُ إلى ما إليه قصدتُ فالخيرَ أردتُ، وهو محض فضل من الله

وإن كانت الأخرى فمن نفسي وتقصيري، وأرجو من الله غفران الذنوب، والحمد لله في الأولى والآخرة.

والله من ورآء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# التمهيد

ويشتمل على مطلبين:

## المطلب الأول

## نبذة مختصرة عن التفسير الموضوعى وأهميته

**تعريف التفسير الموضوعى:**

عرفه الدكتور/ محمود بسيونى فودة - رحمه الله- بقوله (جمع ما ورد فى القرآن الكريم فى موضوع واحد كى يستعين الباحث بما جاء مجملاً على معرفة ما جاء موجزاً، وما جاء مفصلاً على ما جاء مجملاً، وما جاء موضحاً على ما جاء مشكلاً، كما يطلق التفسير الموضوعى أيضاً على تفسير القرآن بالقرآن[1].

وعرفه الدكتور/ جمعة عبد القادر - رحمه الله- بقوله: (جمع الآيات المتفرقة فى سور القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية)[2].

أما الدكتور/ عبد الحى الفرماوى فقد بين أهمية ووجه الحاجة إلى التفسير الموضوعى فقال:( إن هذا اللون من التفسير يمكن الداعية محاضراً والباحث، من الإحاطة التامة بأبعاد الموضوع وزواياه بالقدر الذى يمكنه أن يعلل للناس أحكاماً بطريقة وافية، واضحة، مقنعة، وأن يكشف لهم أسراره وغوامضه بدرجة تستريح معها قلوبهم وعقولهم إلى نزاهة الحكيم ورحمته بعباده فيما يشرع لهم.

---

[1] التفسير الموضوعى ومنهج الحق فى هداية الخلق ص١٠، د/ محمود بسيونى فودة، مطبعة الأمانة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

[2] معالم سور القرآن واتحافات درره ١/٥، د/ جمعة على عبد القادر ط مكتبة رشوان الطبعة الثانية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمكن الباحث من الوصول سريعاً إلى الهدف دون تعب أو مشقة مما ملئت به كتب التفسير التحليلى من أبحاث لغوية أو فقهية....، مما يعوقه عن غرضه نوعاً ما.

أنه يتفق مع روح العصر الذى يطالبنا أن نخرج أحكاماً عامة للمجتمع الإسلامى، ومصدرها القرآن الكريم فى صورة مواد وقوانين مدروسة يسهل تناولها والانتفاع بها.

يمكن الباحث من دفع التعارض ورد الشبهات التى قد يثيرها ذوو الأغراض السيئة خاصة فى هذا العصر) (١).

**أقول وبالله التوفيق:**

التفسير الموضوعى الوسيط هو الذى يختار الباحث فيه موضوعا من خلال سورة من القرآن،أو من خلال مجموعة سور،ثم يختار الآيات الكريمة التى تمثل أطراف الموضوع وعناصره،ثم يعرضها عرضا وسطا،بعد النظر والموازنة،وهو من أصعب أقسام التفسير الموضوعى فيحتاج إلى أناة وطول نظر فى الآيات الكريمة ليختار أجمعها،حتى لا يترك عنصرا من عناصر الموضوع.

ولقد احتل القرآن المرتبة الأولى في اهتمام المسلمين فعكفوا على حفظه ودراسته واستنباط الأحكام منه، وكان القرآن كتابهم الأوحد الذي جمع بين دفتيه كلام رب العزة سبحانه وتعالى، ومع مرور الزمن وتراكم العلوم وتكاثر البحوث نشأت علوم كاملة تتعلق بكتاب الله سبحانه، وتنوعت تبعا لتنوع الجوانب المتعلقة بالدرس القرآني، كما نشأ الكثير من ألوان التفسير ومنها التفسير الموضوعى الوسيط.

---

(١) البداية فى التفسير الموضوعى ص٥، ٦٩، ٧٠. د/ عبد الحى الفرماوى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## المطلب الثانى

## مقدمة بين يدى تفسير سورة الأنفال

سورة الأنفال من السور التي عنيت بجانب التشريع، وخاصة فيما يتعلق بغزوة بدر فقد عالجت بعض النواحي الحربية التي ظهرت عقب تلك الغزوة وتضمنت كثيرًا من التشريعات الحربية.اشتملت تلك المقدمة على زمن نزول السورة،وترتيبها فى المصحف وفى النزول،وعدد آياتها وكلماتها،وحروفها، وبعض ماورد فى فضلها.

**قال الإمام الشوكانى -رحمه الله-**

(صرح كثير من المفسرين بأنها مدنية ولم يستثنوا منها شيئا وأخرج سعيد بن منصور والبخاري وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردوية عن ابن عباس أنه قال نزلت في بدر وفي لفظ: تلك سورة بدر قال القرطبي: قال ابن عباس هي مدنية إلا سبع آيات من قوله: { وإذ يمكر بك الذين كفروا } إلى آخر سبع آيات،والصحيح أنها مكية معنى مدنية نزولا.

وجملة آيات هذه السورة ست وسبعون آية وقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يقرأ بها في صلاة المغرب كما أخرجه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب وأخرج أيضا عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقرأ في الركعتين من المغرب بسورة الأنفال(١).

**وقال ابن الجوزى - رحمه الله -**

(وهي مدنية باجماعهم وحكى الماوردي عن ابن عباس أن فيها سبع آيات مكيات أولها( وإذ يمكر بك الذين كفروا...) (٢).

---

(١) فتح القدير ٢/٤١١ للإمام محمد بن علي الشوكاني.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٣ | ٣١٦ تأليف| عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ط المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجاء فى التحرير والتنوير ما نصه:

(سورة الأنفال) عرفت بهذا الاسم من عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: روى الواحدي في "أسباب النزول" عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاصي فأخذت سيفه فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اذهب فاطرحه في القبض" بفتحتين الموضع الذي تجمع فيه الغنائم" فرجعت في ما لا يعلمه إلا الله قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت قريبا حتى نزلت سورة الأنفال.

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس سورة الأنفال قال نزلت في بدر" فباسم الأنفال عرفت بين المسلمين وبه كتبت تسميتها في المصحف حين كتبت أسماء السور في زمن الحجاج، ولم يثبت في تسميتها حديث، وتسميتها سورة الأنفال من أنها افتتحت بآية فيها اسم الأنفال، ومن أجل أنها ذكر فيها حكم الأنفال

وتسمى أيضا سورة بدر ففي "الإتقان" أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: "سورة الأنفال" قال "تلك سورة بدر".

وقد اتفق رجال الأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر: قال ابن إسحاق أنزلت في أمر بدر سورة الأنفال بأسرها، وكانت غزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة بعد عام ونصف من يوم الهجرة، وذلك بعد تحويل القبلة بشهرين، وكان ابتداء نزولها قبل الانصراف من بدر فإن الآية الأولى منها نزلت والمسلمون في بدر قبل قسمة مغانمها، كما دل عليه حديث سعد بن أبي وقاص والظاهر أنها استمر نزولها إلى ما بعد الانصراف من بدر.

وفي كلام أهل أسباب النزول ما يقتضي أن آية {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّفِيكُمْ ضَعْفاً} إلى {مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٦٦] نزلت بعد نزول السورة بمدة طويلة، كما روي عن ابن عباس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال جماعة من المفسرين إن آيات {يا أيُّها النَّبيُّ حسبُك اللهُ} - إلى {لا يفقهون} [الأنفال: ٦٤، ٦٥] نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل ابتداء القتال، فتكون تلك الآية نزلت قبل نزول أول السورة.

نزلت هذه السورة بعد نزول آيات من سورة البقرة، ثم قيل هي الثانية نزولا بالمدينة، وقيل نزلت البقرة ثم آل عمران ثم الأنفال، والأصح أنها ثانية السور بالمدينة نزولا بعد آيات من سورة البقرة.

وقد بينت في المقدمات أن نزول سورة بعد أخرى لا يفهم منه أن التالية تنزل بعد انقضاء نزول التي قبلها، بل قد يبتدأ نزول سورة قبل انتهاء السورة التي ابتدئ نزولها قبل، ولعل سورة الأنفال قد انتهت قبل انتهاء نزول سورة البقرة، لأن الأحكام التي تضمنتها سورة الأنفال من جنس واحد وهي أحكام المغانم والقتال، وتفننت إحكام سورة البقرة أفانين كثيرة: من أحكام المعاملات الاجتماعية، ومن الجائز أن تكون البقرة نزلت بعد نزولها بقليل سورة آل عمران، وبعد نزول آل عمران بقليل نزلت الأنفال، فكان ابتداء نزول الأنفال قبل انتهاء نزول البقرة وآل عمران.

وقد عدت التاسعة والثمانين في عداد نزول سور القرآن وإنها نزلت بعد سورة آل عمران وقبل سورة الأحزاب.

وعدد آيها، في عد أهل المدينة. و مكة و البصرة: ست وسبعون، وفي عد أهل الشام سبع وسبعون، وفي عد أهل الكوفة خمس وسبعون.

قلت:سبب الاختلاف أن النبى-صلى الله عليه وسلم-كان يقف على فاصلة فيظن كاتب الوحى أنها آية .

وهي خمسة آلاف ومئتان وأربعة وتسعون حرفاً، وألف ومئتان واحدى وثلاثون كلمة

ونزولها بسبب اختلاف أهل بدر في غنائم يوم بدر وأنفاله، وقيل بسبب ما سأله بعض الغزاة النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأنفال،) [1].

**أقول وبالله التوفيق:**

بلغت نداءات القرآن ما يقرب من مائة وسبعين نداءً، تكفي لسعادة الإنسانية، وهي تدل على كمال العناية من الله تعالى بالناس عامة وبعباده المؤمنين خاصة، وتدل أيضًا على عظم الاهتمام بالمطلوب وبالمنادى، وما تركت بابًا من أبواب الخير إلا ودعت إليه، وما تركت بابًا من أبواب الشر إلا وحذرت عنه، وإن نداء الله لعباده المؤمنين جدير بأن يهز القلوب هزا، ويهدى القلوب ويقنع العقول ويحمل النفوس على التدبر والاعتبار.

(١) التحرير والتنوير ٩/٦٠٥

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)

مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

## المبحث الأول
## قواعد وتوجيهات

قال الله - تعالى -

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا

ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو

من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (١٦)

**مناسبة هاتين الآيتين** لما قبلهما أن

الرعب في قلوب الكفار وأمر من آمن بال

حرضهم على الصبر عند مكافحة العدو

**التحليل اللفظي**

{ زحفاً }: والجمع زُحُوفٌ كسُتر

قال الزجاج يقال أزحفتُ القومَ إذا ثبتَ

كفروا زحفاً أي إذا لقيتموهم زاحفين و

تولوهم الأدبار قال الأزهري وأصل ال

استه قبل أن يقوم وإذا فعل ذلك على

الرجل إذا مشى على بطنه كالحية، أ

هنا مشي

الجيش الكثير للقتال بزحف

زحفاً.

{ الأدبار }: جمع دُبُر وهو

ويطلق القُبُل والدبُر على سوأتي

والخلف فمشهور في اللغة

(١) لسان العرب ٩/١٢٩ مادة زحف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المبحث الأول
# قواعد وتوجيهات حربية

قال الله - تعالى -
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾

مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما أنه تعالى لما أخبر أنه سيلقي الرعب في قلوب الكفار وأمر من آمن بالضرب فوق أعناقهم وبنانهم عرضهم على الصبر عند مكافحة العدوّ ونهاهم عن الانهزام

التحليل اللفظي

{ زَحْفاً }: والجمع زُحُوفٌ كسّروا اسم الجمع كما قد يكسّرون الجمع قال الزجاج يقال أَزْحَفْتُ القومَ إذا ثَبَتَّ لهم قال فمعنى قوله إذا لقيتم الذين كفروا زَحْفاً أي إذا لقيتموهم زاحفينَ وهو أن يَزْحَفوا إليهم قليلاً قليلاً فلا تولوهم الأدْبار قال الأزهري وأصل الزحْفِ للصبي وهو أن يَزْحَفَ على استه قبل أن يقوم وإذا فعل ذلك على بطنه قيل قد حَبا[1]. يقال زحف الرجل إذا مشى على بطنه كالحية، أو دبّ على مقعده كالصبي، وشبّه به هنا مشي

الجيش الكثير للقتال بزحف الصبيان، لأنه لكثرته يرى كأنه يزحف زحفاً.

{ الأدبار }: جمع دُبُر وهو الخَلْف ويقابله ( القُبُل ) وهو الأمام، ويطلق القُبُل والدُبُر على سوأتي الإنسان، وأمّا إطلاقه على الأمام والخلف فمشهور في اللغة قال تعالى: { وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ }

---

(١) لسان العرب ١٢٩/٩ مادة زحف لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[يوسف: ٢٥]. و"الأدبار" جمع دبر وهو ضد قبل الشيء وجهه وما يتوجه إليك منه عند إقباله على شيء وجعله أمامه، ودبره ظهره وما تراه منه حين انصرافه وجعله إياك وراءه، ومنه يقال استقبل واستدبر وأقبل وأدبر، فمعنى توليتهم الأدبار صرف الأدبار إليهم، أي الرجوع عن استقبالهم، وتولية الأدبار كناية عن الفرار من العدو.

{ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ }: يقال: تحرّف وانحرف إذا مال وعدل من طَرَف إلى طرف، مأخوذ من الحَرْف وهو الطرف أي الجانب، والتحرف للقتال الفرّ للكرّ أي يتظاهر بالفرار ليغرّ عدوه حتّى يُخيّل له أنه انهزم ثم يكر عليه فيقتله، وهذا من باب مكايد الحرب ( والحرب خدعة )

والتحرّف للقتال هو الكرّ بعد الفرّ يخيل عدوّه أنه منهزم ثم ينعطف عليه وهو عين باب خِدَع الحرب ومكائدها قاله الزمخشري، وقال يراد به الذي يرى أن فعله ذلك أنكى للعدوّ وأعود عليه بالشر[1].

{ مُتَحَيِّزاً }: أي منضماً، والفئة: الجماعة قال تعالى: { إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثبتوا } [ الأنفال: ٤٥ ] والمراد أن ينهزم لينضمّ إلى جماعة أخرى يعينهم أو يستعين بهم. متحيزا إلى فئة أي منضما إلى جماعة يقال تحوز وتحيز وانحاز بمعنى واحد

قوله: { أو متحيزا إلى فئة } أي إلى جماعة من المسلمين غير الجماعة المقابلة للعدو وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الاستثناء من المولين: أي ومن يولهم دبره إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا ويجوز انتصابهما على الحال ويكون حرف الاستثناء لغوا لا عمل له وجملة { فقد باء بغضب من الله } جزاء للشرط والمعنى: من ينهزم ويفر من الزحف فقد

---

(١) البحر المحيط ٤/٤٦٧محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

... كائن من الله إلا المتحرف والمتحيز { ومأواه جهنم } أي ... الذي يأوي إليه هو النار فقراره أوقعه إلى ما هو أشد بلاء مما فر ... عنه عقوبة والمأوى: ما يأوي إليه الإنسان { وبئس المصير } ما ... يصير إليه من عذاب النار وقد اشتملت هذه الآية على هذا الوعيد الشديد ... بما فر عن الزحف وفي ذلك دلالة على أنه من الكبائر[1].

**المعنى الإجمالي للآيتين:**

هاتان الآيتان الكريمتان نزلتا لتثبيت قلوب المؤمنين في أول غزوة ... وقعت بينهم وبين المشركين ألا وهي « غزوة بدر » وقد كانت هذه ... المعركة هي الفارقة بين عهدين عهد الكفر، وعهد الإيمان ولذلك سمي ... الله يوم الفرقان قال تعالى: { وَمَآ أَنزَلْنَا على عَبْدِنَا يَوْمَ الفرقان }[ الأنفال: ٤١ ] لأنها فرقت بين الظلام والنور وبين الكفر والإيمان وفي هذه الآيات يأمر الله عباده المؤمنين أن يصمدوا أمام أعدائهم، وألا ينهزموا مهما كان جيش الكفر عظيماً وكبيراً، فإن الغلبة ليست بالكثرة، والمؤمنون ... أولى بالثبات والشجاعة من الكافرين، لأنهم يطلبون إحدى الحسنيين: إما ... العزة في الدنيا والنصر على الأعداء، وإما الشهادة في سبيل الله التي لا ... يعادلها شيء وقد حذرهم من الفرار والهزيمة لأن فيه كسراً لجيش ... المسلمين والقاءً للرعب في قلوب المجاهدين **وبين تعالى أن الفرار يجوز في حالتين اثنتين.**

**الأولى:** إذا كان بقصد خداع العدو والتغرير به، لأن الحرب خدعة، والعاقل من عرف كيف يبطش بعدوه ويستدرجه.

**والثانية:** إذا بقي هذا المسلم وحيداً فريداً فانضم إلى جماعة أخرى

---

(١) فتح القدير ٢/٢٩٣

– المؤلف: محمد بن علي الشوكاني دار النشر: دار الفكر – بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليتقوى بها أو رأى أنها بحاجة إليه ليشد أزرهم ويقوي عزمهم.

وما عدا ذلك فالفرار من الزحف جريمة نهى الله تعالى عنه وتوعد عليه أشد التوعيد وهو أن يرجع بغضب من الله وأن مقره في جهنم وبئس ذلك المقر والمصير.

**أقول وبالله التوفيق:**

**هذا هو النداء الاول:** الذى جاء فيه التحذير من الفرار من المعركة [ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ] وقد توعدت الآيات المنهزمين أمام الأعداء بأشد العذاب فالثبات هو بدء الطريق إلى النصر. فأثبت الفريقين أغلبهما.

وبعد التحليل اللفظى لبعض الكلمات،والمعنى الإجمالى لها،أذكر تفصيلا مايتعلق بهاتين الآيتين الكريمتين من الأحكام.

**ما يتعلق بالآيتين من أحكام:**

**الفرار من الزحف من الكبائر.**

هذه السورة الكريمة وجهت المؤمنين إلى قواعد الجهاد والقتال داعية إياهم لاتباعها. فالتوجيه الأول جاء فيه التحذير من الفرار من المعركة (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولّوهم الأدبار)

**يقول الإمام الرازي- رحمه الله-**

(إنه تعالى لما نهى عن هذا الانهزام بين أن هذا الانهزام محرم إلا في حالتين إحداهما أن يكون متحرفاً للقتال والمراد منه أن يخيل إلى عدوه أنه منهزم ثم ينعطف عليه وهو أحد أبواب خدع الحرب ومكايدها يقال تحرف وانحرف إذا زال عن جهة الاستواء والثانية قوله أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ قال أبو عبيدة التحيز التنحي وفيه لغتان التحيز والتحوز قال الواحدي وأصل هذا الحوز وهو الجمع يقال حزته فانحاز وتحوز وتحيز إذا انضم

والجمع ثم سمي التنحي تحيزاً لأن المتنحي عن جانب ينفصل عنه ويميل إلى غيره إذا عرفت هذا فنقول الفئة الجماعة فإذا كان هذا المتحيز كالمنفرد وفي الكفار كثرة وغلب على ظن ذلك المنفرد أنه إن ثبت قتل من غير فائدة وإن تحيز إلى جمع كان راجياً للخلاص وطامعاً في العدو بالكثرة فربما وجب عليه التحيز إلى هذه الفئة فضلاً عن أن يكون ذلك جائزاً والحاصل أن الانهزام من العدو حرام إلا في هاتين الحالتين

ثم إنه تعالى قال وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا في هاتين الحالتين فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) [١].

**أقول وبالله التوفيق:**

دلت ظواهر النصوص الشرعية على حرمة الفرار من الزحف إلا في حالتين اثنتين وهما: حالة الفر من أجل الكرّ خدعة للعدو - وحالة الإلتحاق إلى جماعة المسلمين والانضمام إلى صفوفهم ليتقوى بهم وقد بينت السنة النبوية أن الفرار من الزحف من الكبائر فقد قال صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات «[٢].

**عدد العدو الذي يحرم الفرار منه يقول الإمام القرطبى -رحمه الله-:**

( أمر الله عز وجل في هذه الآية ألا يولي المؤمنون أمام الكفار.

---

(١) مفاتيح الغيب ١١١/١٥ الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى.

(٢) أخرجه البخارى فى باب رمى المحصنات حديث( ٦٤٦٥) صحيح البخاري٦/٢٥١٥ المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا الأمر مقيد بالشريطة المنصوصة في مثلي المؤمنين، فإذا لقيت فئة من المؤمنين فئة هي ضعف المؤمنين من المشركين فالفرض ألا يفروا فمن فر من اثنين فهو فار من الزحف. ومن فر من ثلاثة فليس بفار من الزحف، ولا يتوجه عليه الوعيد.

والفرار كبيرة موبقة بظاهر القرآن وإجماع الأكثر من الأئمة.

وقالت فرقة منهم ابن الماجشون[1]. في الواضحة: إنه يراعى الضعف والقوة والعدة، فيجوز على قولهم أن يفر مائة فارس من مائة فارس إذا علموا أن ما عند المشركين من النجدة والبسالة ضعف ما عندهم.

وأما على قول الجمهور فلا يحل فرار مائة إلا مما زاد على، المائتين، فمهما كان في مقابلة مسلم أكثر من اثنين فيجوز الانهزام، والصبر أحسن.

وقد وقف جيش مؤتة وهم ثلاثة آلاف في مقابلة مائتي ألف، منهم مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة من لخم وجذام[2].

**أقول وبالله التوفيق:**

الذي وقع عليه الوعيد هو الفرار مع المصابرة على الثبات فأما إذا جاءه من لا يستطيع معه الثبات فليس ذلك بالفرار، فهذه الآية حرمت الفرار من القتال، وأما عدد العدو الذي يحرم الفرار منه فقد بينته الآية في آخر سورة الأنفال وهي قوله تعالى:

{ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا} الأنفال ٦٦ فقد أوجبت هذه الآية على المسلمين أن يثبتوا أمام

---

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء أبو مروان ابن الماجشون: فقيه مالكي فصيح، دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه قبله. الأعلام للزركلي ٤/١٦٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/٣٨١ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله.



أعدائهم إذا كان العدو ضعفهم وقد كانوا من قبل
والصمود حتى ولو كانوا عشرة أضعافهم فنسخ
رحمة بهم وتيسيراً عليهم، فإذا كان جيش الكف
جيش المسلمين فإنه لا يجب عليهم ملاقاته إلا
كهجوم المشركين على ديار المسلمين فإنه يج
ويفترض القتال على الرجل والمرأة والصغير

**المغامرة في الحرب**

**يقول العلامة الطاهربن عاشور -ر**

(إن المسلمين إذا توجهوا إلى قتال الـ
لمقاتلتهم وعزموا على المقاتلة. فإذا التقى
المسلمين الثبات والصبر للقتال، ولو كانوا
ينتصروا وإما أن يستشهدوا وعلى هذا فلا
بحيث يستطيعون الثبات وجهه أولا، فان
فعلى الجيش النظر في عدده وعدده ونس
أزمعوا الزحف وجب عليهم الثبات، وكذ
بدار العدو، فإذا رأوا للعدو نجدة أو ازد
لقتاله أو ينصرفون بإذن أميرهم، فإما أ
العدو وإما أن يأمرهم بالاستنجاد والعو
المسلمون في غزوة أفريقية الأولى و
لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا}[1].

**أقول وبالله التوفيق:**

**المغامرة في الحرب أن لا يق**

---

(١) التحرير والتنوير ٩/٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا كان العدو ضعفهم وقد كانوا من قبل مكلفين بملاقاة العدو والصمود حتى ولو كانوا عشرة أضعافهم فنسخ الله ذلك وخفف عن عباده رحمة بهم وتيسيراً عليهم، فإذا كان جيش الكفار يزيد أضعافاً مضاعفة على جيش المسلمين فإنه لا يجب عليهم ملاقاته إلا إذا كان هناك خطر جسيم كهجوم المشركين على ديار المسلمين فإنه يجب حينئذٍ الدفاع عليهم، ويفرض القتال على الرجل والمرأة والصغير والكبير.

المغامرة في الحرب

يقول العلامة الطاهربن عاشور -رحمه الله-

(إن المسلمين إذا توجهوا إلى قتال المشركين أو إذا نزل المشركون بمقاتلتهم وعزموا على المقاتلة. فإذا التقى الجيشان للقتال وجب على المسلمين الثبات والصبر للقتال، ولو كانوا أقل من جيش المشركين، فإما أن ينتصروا وإما أن يستشهدوا وعلى هذا فللمسلمين النظر قبل اللقاء هل هم بحيث يستطيعون الثبات وجهه أولا، فان وقت المجالدة يضيق عن التدبير، وعلى الجيش النظر في عدده وعدده ونسبة ذلك من جيش عدوهم، فإذا رأوا الزحف وجب عليهم الثبات، وكذلك يكون شأنهم في مدة نزولهم بدار العدو، فإذا رأوا للعدو نجدة أو ازدياد قوة نظروا في أمرهم هل يثبتون لقتاله أو ينصرفون بإذن أميرهم، فإما أن يأمرهم بالكف عن متابعة ذلك العدو وإما أن يأمرهم بالاستنجاد والعودة إلى قتال العدو كما صنع المسلمون في غزوة أفريقية الأولى وهذا هو الذي يشهد له قوله تعالى: {إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا}[1].

أقول وبالله التوفيق:

المغامرة في الحرب أن لا يقتحم الواحد على العشرة ولا القليل على

---

[1] التحرير والتنوير ٩/٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكثير لأن في ذلك إلقاء إلى التهلكة.

والصحيح أنه تجوز المغامرة لكسر شوكة المشركين وإضعاف نفوسهم فإنهم إذا رأوا هذه الشجاعة النادرة من شخص واحد دبّ الرعب في قلوبهم وأيقنوا بعدم قدرتهم على مقاومة المسلمين وفي ذلك إعزاز لدين الله وقهر للمشركين.

**الفرار من أمام العدو عند الضرورة**

يجوز الفرار عند الضرورة في غير الحالتين السابقتين التي أشارت إليهما الآية وذلك كأن يحيط العدو بالجيش أو يقطعوا على المجاهدين طريق المؤنة والغذاء

**يقول العلامة الطاهر بن عاشور -رحمه الله-**

يكون لأمير الجيش، إذا رأى المصلحة في الانجلاء عن دار العدو وترك قتالهم، أن يغادر دار الحرب ويرجع إلى مقره، إذا أمن أن يلحق به العدو، وكان له من القوة ما يستطيع به دفاعهم إذا لحقوا به، فذلك لا يسمى تولية أدبار، بل هو رأي ومصلحة، وهذا عندي هو محمل ما

روى أبو داود والترمذي، عن عبد الله بن عمر: أنه كان في سرية[1]. بعثها النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فلما برزنا قلنا كيف نصنع إذا دخلنا المدينة وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا قال "فجلسنا لرسول الله قبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا إليه فقلنا نحن الفرارون، فاقبل إلينا فقال لا بل انتم العكارون"[2]. أي الذين يكرون يعني أن فراركم من قبيل الفر

(١) السَّرِيَّةُ قطعة من الجيش يقال خير السَّرَايا أربعمائة رجل مختار الصحاح ١/٣٢٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ى مسنده ٢/١٠٠ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ط مؤسسة



للكر يقال للرجل إذا ولى عن الحرب ثم كر راجع
"وأنا فئة المسلمين" يتأول لهم أن فرارهم من قبيل
إلى فئة) قال ابن عمر "فدنونا فقبلنا يده". فيفهم م
وأصحابه لم يكن في وقت مجالدتهم المشركين،
إلى المدينة، فتلك فئتهم[1]..(٣)

**هل الفرار يوم الزحف مخصوص بيو**

واختلف الناس هل الفرار يوم الزحف م
الزحوف كلها إلى يوم القيامة ؟ فروي
مخصوص بيوم بدر، وبه قال نافع والحسن
والضحاك، وبه قال أبو حنيفة.

وأن ذلك خاص بأهل بدر فلم يكن ل
لانحازوا للمشركين، ولم يكن في الأرض
للمسلمين فئة إلا النبي ﷺ ، فأما بعد ذلك

**قال الكيا الهراسي:** وهذا فيه نظ
الأنصار لم يأمرهم النبي صلى الله علي
أنه قتال، وإنما ظنوا أنها العير، فخرج
فيمن خف معه.

ويروى عن ابن عباس وسائر

قرطبة القاهرة تعليق شعيب الأرنؤوط
تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف
وفى سنن أبى داود باب فى التولى يوم الز
المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الس
الألباني: ضعيف

(١) التحرير والتنوير ٩/ ٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا قال الرجل إذا ولى عن الحرب ثم كر راجعا إليها عكر أو اعتكر
فئة المسلمين" يتأول لهم أن فرارهم من قبيل قوله تعالى: {أَوْ مُتَحَيِّزًا
فئة} قال ابن عمر "قدمنا فقبلنا يده". فيفهم منه أن فرار ابن عمر
أصحابه لم يكن في وقت مجالدتهم المشركين، ولكنه قال انسلالا لينحازوا
المدينة، فتلك فئتهم[1]..(٣)

## هل الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر؟

واختلف الناس هل الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر أم عام في
الزحوف كلها إلى يوم القيامة ؟ فروي عن أبي سعيد الخدري أن ذلك
مخصوص بيوم بدر، وبه قال نافع والحسن وقتادة ويزيد بن أبي حبيب
والضحاك، وبه قال أبو حنيفة.

وأن ذلك خاص بأهل بدر فلم يكن لهم أن ينحازوا، ولو انحازوا
انحازوا للمشركين، ولم يكن في الأرض يومئذ مسلمون غيرهم، ولا
المسلمين فئة إلا النبي ﷺ ، فأما بعد ذلك فإن بعضهم فئة لبعض.

قال الكيا الهراسي: وهذا فيه نظر، لأنه كان بالمدينة خلق كثير من
الأنصار لم يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج ولم يكونوا يرون
له قال، وإنما ظنوا أنها العير، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمن خف معه.

ويروى عن ابن عباس وسائر العلماء أن الآية باقية إلى يوم القيامة.

---

قرطبة القاهرة تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف

حق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف

در سنن أبي داود باب في التولي يوم الزحف ٢/٥٢ ، ٢/٣٤٩

لمؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ط دار الكتاب العربي ـــ بيروت. قال
الألباني: ضعيف

[1] التحرير والتنوير ٩/ ٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

احتج الأولون بما ذكرنا، وبقوله تعالى: " يومئذ " فقالوا: هو إشارة إلى يوم بدر، وأنه نسخ حكم الآية بآية الضعف.

**وبقي حكم الفرار من الزحف ليس بكبيرة.**

وقد فر الناس يوم أحد فعفا الله عنهم، وقال الله فيهم يوم حنين " ثم وليتم مدبرين " ولم يقع على ذلك تعنيف.

**وقال الجمهور من العلماء:** إنما ذلك إشارة إلى يوم الزحف الذي يتضمنه قوله تعالى: " إذا لقيتم ".

وحكم الآية باق إلى يوم القيامة بشرط الضعف الذي بينه الله تعالى في آية أخرى، وليس في الآية نسخ.

والدليل عليه أن الآية نزلت بعد القتال وانقضاء الحرب وذهاب اليوم بما فيه. وإلى هذا ذهب مالك والشافعي وأكثر العلماء[1].

والراجح أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر فى بدر وفى غيرها.

**وقال العلامة:الخازن -رحمه الله-**

(اختلف العلماء في ذلك، فقال أبو سعيد الخدري: هذا في أهل بدر خاصة لأنه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لأن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون إليها دون النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين ولأنها أول غزاة غزاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فإن المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزاً إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب: أوجب الله النار لمن فرّ يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى إنما استزلهم الشيطان ببعض ما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/٣٨٢.

كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال

وليتم مدبرين.

ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ( "

كنا في جيش بعثنا رسول الله ( صلى الله عليه وس

فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال: لا

المسلمين.

قوله فحاص الناس حيصة ، يعني جال النا

من العدو. والمحيص: الهرب.

**وقال محمد بن سيرين:** لما قتل أبو عب

الخطاب ، فقال: لو انحاز إليّ كنت له فئة أنا ف

**وقال بعضهم:** حكم الآية عام في حق ك

قوله ( يا أيها الذين آمنوا ) وهذا خطاب عام

كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة ب

وجاء في الحديث ( من الكبائر الفرار من ال

**وقال عطاء بن أبي رباح:** هذه الآية

خفف الله عنكم ) فليس لقوم أن يفروا من م

العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمي

عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا منهم ويولو

من المثلين جاز لهم أن يفروا منهم قال اب

ومن فرّ من اثنين فقد فرّ[1].

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معا

علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغد

ط دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ ه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى: ( ثم

الله من بعد ذلك على من يشاء ( " وقال عبد الله بن عمر:
رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فحاص الناس حيصة
يا رسول الله نحن الفرارون قال: لا بل أنتم الكرارون إنا فئة

حاص الناس حيصة ، يعني جال الناس جولة يطلبون الفرار
والحيص: الهرب.

**وقال محمد بن سيرين:** لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر بن
قال: لو انحاز إليّ كنت له فئة أنا فئة كل مسلم.

**وقال بعضهم:** حكم الآية عام في حق كل من ظهره منهزم بدليل
يا أيها الذين آمنوا ) وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وإن
الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
في الحديث ( من الكبائر الفرار من الزحف )

**وقال عطاء بن أبي رباح:** هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ( الآن
عنكم ) فليس لقوم أن يفروا من مثلهم فنسخت بذلك إلا في هذه
وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من
لا يجوز لهم أن يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وإن كان العدو أكثر
لكن حاز لهم أن يفروا منهم قال ابن عباس من فرّ من ثلاثة لم يفر
ومن اثنين فقد فرّ[1].

---

[1] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٣/١٦'١٧
علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن
دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعليه القول بأن حكم الآية عام وإن كانت نزلت في بدر أولى من قصرها على تحريم الفرار يوم بدر.

**ما ترشد إليه الآيتان الكريمتان**

**أولاً** - المؤمن يجاهد لإعلاء كلمة الله فعليه أن يتحمل الشدائد لأن العمر بيد الله.

**ثانياً** - الفرار من الزحف كبيرة من الكبائر لأنه يعرض جيش المسلمين للتدهور والخطر.

**ثالثاً** - لا يجوز الفرار إلا في الحالات الضرورية.

**رابعاً** -في الآية دلالة على تحريم الفرار من الزحف على غير المتحرف أو المتحيز

**خامسا**- النصر بيد الله، فعلى المؤمن أن يعتمد على الله مع الأخذ بالأسباب.

**سادسا**- شدد الأمر على أهل بدر ؛ لأنه كان أول جهاد، ولو اتفق للمسلمين انهزام فيه، لزم منه الخلل العظيم.

**سابعا**- ظاهر الآية يفيد العموم لكل المؤمنين في كل زمان ومكان، لأن سورة الأنفال كلها قد نزلت بعد الفراغ من غزوة بدر لا قبل الدخول فيها.

**ثامنا**- التولّي الذي وقع عليه الوعيد هو الفرار مع المصابرة على الثبات فأما إذا جاءه من لا يستطيع معه الثبات فليس ذلك بالفرار.



## المبحث الثاني
## وجوب طاعة الله والرسول

قال الله- تعالى -

يا أيُّها الّذين آمنُوا أطيعُوا اللّه ورسُولهُ ولا تولّوْ

(٢٠) ولا تكُونُوا كالّذين قالُوا سمعْنا وهُمْ لا يسْمعُون

**مناسبة الآيتين لماقبلهما**

لما كان سبب ما أحله بالكفار - من الإعراض

قصدوا من دعائهم ومن خذلانهم في هذه الوقعة وإ

- هو عصيانهم الرسول وتوليهم عن قبول ما يسم

حذر المؤمنين من حالهم بالتمادي في التنازع في

يأيها الذين آمنوا ) أي ادعوا ذلك ) اطيعوا الله )

والعظمة ) ورسوله ( تصديقاً لدعواكم الإيمان[1]

**التحليل اللفظى**

(لا تولوا عنه) الأصلُ: تتولّوا فحذف إحد

عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته

وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن

لقوله تعالى ( من يطع الرسول فقد أطاع

أو للأمر الذي دل عليه الطاعة ) وأنتم

سماع فهم وتصديق

( ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ) كال

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩٩/٣ بر

البقاعي.

ط دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المبحث الثانى
# وجوب طاعة الله والرسول

قال الله - تعالى -
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ
(٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)

## مناسبة الآيتين لماقبلهما

لما كان سبب ما أحله بالكفار - من الإعراض عن إجابتهم فيما قصدوا من دعائهم ومن خذلانهم في هذه الوقعة وإيجاب مثل ذلك لهم أبداً - هو عصيانهم الرسول وتوليهم عن قبول ما يسمعونه منه من الروح ؛ حذر المؤمنين من حالهم بالتمادي في التنازع في الغنيمة أو غيرها فقال: ( يأيها الذين آمنوا ) أي ادعوا ذلك ) اطيعوا الله ) أي الذي له جميع العز والعظمة ) ورسوله ( تصديقاً لدعواكم الإيمان[1].

## التحليل اللفظى

(لا تولوا عنه) الأصلُ: تتولّوا فحذف إحدى التّاءين ( أي ولا تتولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) وقيل الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل عليه الطاعة ) وأنتم تسمعون ( القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق

( ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ) كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣/١٩٩ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي.
ط دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا[١].

**وقال الإمام الشوكاني:**

(الضمير في { عنه } عائد إلى الرسول لأن طاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم هي من طاعة الله و { من يطع الرسول فقد أطاع الله } ويحتمل أن يكون هذا الضمير راجعا إلى الله وإلى رسوله وقيل: الضمير راجع إلى الأمر الذي دل عليه أطيعوا وأصل تولوا تتولوا فطرحت إحدى التاءين وجملة { وأنتم تسمعون } في محل نصب على الحال والمعنى: وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم من الحجج والبراهين وتصدقون بها ولستم كالصم والبكم) [٢].

## المعنى الإجمالي للآيتين

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين الذين آمنوا به وبرسوله وصدقوا بوعده ووعيده يوم لقائه فيأمرهم بطاعته وطاعة رسوله، وينهاهم عن الإعراض عنه وهم يسمعون الآيات تتلى والعظات تتوالى في كتاب الله وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن نصركم وتأييدكم كان ثمرة لإيمانكم وطاعتكم فإن أنتم أعرضتم وعصيتم فتركتم كل ولاية لله تعالى لكم أصبحتم كغيركم من أهل الكفر والعصيان هذا معنى قوله {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون} وقوله {ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون} ينهاهم عز وجل أن يسلكوا مسلك الكافرين المشركين في التصامم عن سماع الآيات الحاملة للحق والداعية إليه، والتعامي عن رؤية آيات الله الدالة على توحيده الذين قالوا إنا عما يقوله محمد في صمم، وفيما يذكر ويشير إليه في عمى، فهم يقولون سمعنا

---

(١) تفسير البيضاوى ـ ٣/٩٨ ط دار الفكر - بيروت.

(٢) فتح القدير ٢/٢٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

...ب وهم لا يسمعون بقلوبهم لأنهم لا يتدبرون ولا يفكرون فلذا هم في ...ه كمن لم يسمع إذ العبرة بالسماع الانتفاع به لا مجرد سماع صوت ...لمي سماع خاص، لكنه أتى به مطلقاً للإشارة إلى أنهم نزلوا ...زلة من لم يسمع أصلاً، بجعل سماعهم بمنزلة العدم.

...طاعة لله تكون في الأمر الإجمالي، وطاعة الرسول صلى الله عليه ...سلم تكون في اتباع الحكم التفصيلي التطبيقي الذي يأتي به رسول الله ...لأمر الإجمالي. وكذلك تكون طاعة الرسول واجبة في أي أمر أو حكم؛ ...ن الله قد فوض رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك:{ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ ...قَدْ أَطَاعَ اللَّهَ }[النساء: ٨٠]. والملحظ الجميل أنه سبحانه لم يقل: ولا تولوا ...عنهما. قياساً بالأسلوب البشري. لكنه قال: { وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ } أي أنه ...سبحانه وتعالى قد وحد الكلام في أمرين اثنين؛ طاعة الله وطاعة الرسول، ...لأن الرسول مبلغ عن الله فلا تقسيم بين الطاعتين؛ لأن طاعة الرسول هي ...طاعة لله

## ما يتعلق بالآيتين من أحكام

## الخطاب فى الآية الكريمة؟

حول المخاطبين بطاعة الله ورسوله فى الآية الكريمة،وتخصيصهم بالذكر

### يقول العلامة أبو حيان -رحمه -الله -

(والظاهر أنه نداء وخطاب للمؤمنين الخلّص حثّهم بالأمر على طاعة الله ورسوله ولما كانت الآية قبلها مسوقة في أمر الجهاد. قيل معنى أطيعوه فيما يدعوكم إليه من الجهاد، وقيل في امتثال الأمر والنهي وأفردهم بالأمر رفعاً لأقدارهم وإن كان غيرهم مأموراً بطاعة الله ورسوله وهذا قول الجمهور، وأما من قال إنّ قوله وإن تتنهوا خطاب للكفار فيرى أن هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآية نزلت بسبب اختلافهم في النفل ومجادلتهم في الحق وتفاخرهم بقتل الكفار والنكاية فيهم وأبعد من ذهب إلى أنه نداء وخطاب للمنافقين أي يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم وهذا لا يناسب لأنّ وصفهم بالإيمان وهو التصديق وليس المنافقون من التصديق في شيء وأبعد من ذهب إلى أنه نداء وخطاب لبني إسرائيل لأنه أيضاً يكون أجنبياً من الآيات[1].

لم قال(تولوا عنه)وتقدم ذكر الله ورسوله؟

**حول هذا المعنى يقول الإمام الرازى -رحمه الله-**

(فإن قيل فلم قال ولا تولوا عنه فجعل الكناية واحدة مع أنه تقدم ذكر الله ورسوله قلنا إنه تعالى أمر بطاعة الله وبطاعة رسوله ثم قال وَلاَ تَوَلَّوْاْ لأن التولي إنما يصح في حق الرسول بأن يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن معونته في الجهاد) [2].

**يقول الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله-**

(والملحظ الجميل أنه سبحانه لم يقل: ولا تولوا عنهما. قياساً بالأسلوب البشري. لكنه قال: { وَلاَ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ } أي أنه سبحانه وتعالى قد وحد الكلام في أمرين اثنين؛ طاعة الله وطاعة الرسول، ولأن الرسول مبلغ عن الله فلا تقسيم بين الطاعتين؛ لأن طاعة الرسول هي طاعة لله تعالى.

أو نقول: إن التولي لا يكون أبداً بالنسبة إلى الله، فلا أحد بقادر على أن يتولى عن الله؛ لأن الله لاحقه ومدركه في أي وقت.

لذلك نجد الحق تبارك وتعالى يقول في آية ثانية:{ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ }[التوبة: ٦٢].

وهو سبحانه وتعالى في هذا القول يوحد بين رضاء الله والرسول

---

(١) البحر المحيط ٤/٤٧٤.

(٢) مفاتيح الغيب١٥/١١٦.

فيجعله رضاءً واحداً، فالواحد من هؤلاء يقسم أنه لم يفعل للإيمان إرضاءً للمؤمنين، وليبرىء نفسه عند البشر، لكن رضاء أعلى هو رضاء مراعاة تطبيق المنهج الذي وجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهناك من سلوك، ويعلم ما ظهر وما بطن. فلو كنا متروكين لبعض إنسان أن يواجه الآخر، كل بقوته، لكن نحن في الإيمان رقابة المقتدر القيوم، فمن ظلم أخاه؛ وغفر المظلوم - رب الظالم ورب المظلوم - لا يغفر للظالم بل ب

**النهى عن التشبه بغير المسلمين**

وعن النهى عن التشبه بغير المسلمين وهم قريش أو من سائر الكفار يقول العلامة ابن عط قوله " كالذين قالوا سمعنا " يريد الكفار فا لو نشاء لقلنا مثل هذا " وإما الكفار على الإطلا القرآن وعلمنا أنه سحر أو شعر وأساطير بحه عنهم خبرا نفى به أنهم سمعوا أي فهموا ووع كانوا يسمعون التلاوة بآذانهم ولكن صد عز وجل لتلقي معاني القرآن والإيمان

**وزاد المعنى وضوحا الشيخ محمد**

(ففي هذه الآية الكريمة ينهانا الحق " سمعنا " وحكم الله بأنهم لا يسمعون، وه

---

(١) تفسير الشعراوى ٨/ ٤٦٢٨ ط أخبار اليوم(ق

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٢/٧ الأندلسي ط دار الكتب العلمية - لبنان - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيجعله رضاءً واحداً، فالواحد من هؤلاء يقسم أنه لم يفعل الفعل المخالف للإيمان إرضاءً للمؤمنين، وليبرىء نفسه عند البشر، لكن هناك رضاء أعلى هو رضاء مراعاة تطبيق المنهج الذي أنزله الله عز وجل. وجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهناك قيوم أعلى يرقب كل ملك، ويعلم ما ظهر وما بطن. فلو كنا متروكين لبعضنا البعض لكان لأي إنسان أن يواجه الآخر، كل بقوته، لكن نحن في الإيمان نعلم أننا تحت رقابة المقتدر القيوم، فمن ظلم أخاه؛ وغفر المظلوم لظالمه، فالله - تعالى - رب الظالم ورب المظلوم - لا يغفر للظالم بل يؤاخذه[1].

**النهى عن التشبه بغير المسلمين**

وعن النهى عن التشبه بغير المسلمين وهم الكفار سواء أكانوا من قريش أو من سائر الكفار يقول العلامة ابن عطية - رحمه الله - قوله " كالذين قالوا سمعنا " يريد الكفار فإما من قريش لقولهم " سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا " وإما الكفار على الإطلاق الذين يقولون سمعنا القرآن وعلمنا أنه سحر أو شعر وأساطير بحسب اختلافهم ثم أخبر الله عنهم خبرا نفى به أنهم سمعوا أي فهموا ووعوا لأنه لا خلاف أنهم كانوا يسمعون التلاوة بآذانهم ولكن صدورهم مطبقة لم يشرحها الله عز وجل لتلقي معاني القرآن والإيمان به[2].

**وزاد المعنى وضوحا الشيخ محمد متولى الشعراوى فقال:**

(ففي هذه الآية الكريمة ينهانا الحق جل وعلا أن نكون مثل من قالوا: "سمعنا" وحكم الله بأنهم لا يسمعون، وهؤلاء هم من أخذوا السمع بقانون

---

(١) تفسير الشعراوى ٨/ ٤٦٢٨ ط أخبار اليوم(قطاع الثقافة).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٥٨٧: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ط دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م الطبعة: الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحداث الجارية على ظواهر الحركة فسمعوا ولم يلتقطوا؛ لأن المراد بالسماع ليس أن تسمع فقط، بل أن تؤدي مطلوب ما سمعت، فإن لم تؤد مطلوب ما سمعت، فكأنك لم تسمع. بل تكون شراً ممن لم يسمع؛ لأن الذي لم يسمع لم تبلغه دعوة، أما أنت فسمعت فبلغتك الدعوة ولكنك لم تستجب ولم تنفذ مطلوبها.

إذن قول الله تعالى: { سمعنا وهم لا يسمعون } [الأنفال: ٢١].

يفسر لنا أن هذا السماع منهم كان مجرد انتقال الصوت من المتكلم إلى أذن السامع بالذبذبة التي تحدث، ولم يأخذوا ما سمعوه مأخذاً جاداً ليكون له الأثر العميق في حياتهم. فإذا لم يتأثروا بالمنهج، فكأنهم لم يسمعوا، وبالتالي لم يسمعوا؛ لأنهم صاروا شراً ممن لم يسمع.

{ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون } [الأنفال: ٢١].

أو أن السمع يراد ويقصد به القبول، مثلما نقول: اللهم اسمع دعاء فلان. وأنت تعلم أن الله سميع الدعاء وإن لم تقل أنت ذلك، لكنك تقول: اللهم اسمع دعاء فلان بمعنى " اللهم اقبله "، فيكون المراد بالسمع القبول[1].

---

[1] تفسير الشعراوي ٨/ ٤٦٢٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## ما ترشد إليه الآيتان الكريمتان

أولا- وجوب طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، وحرمة معصيتهما.

ثانيا- حرمة التشبه بالمشركين والكافرين وسائر أهل الضلال وفي كل شيء من سلوكهم.

ثالثا -بيان أن من الناس من هو شر من الخنازير فضلاً عن الإبل والبقر والغنم أولئك الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً.

رابعا - المنفى فى قوله - تعالى - { وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } سماع خاص، وهو سماع التدبر والاتعاظ

خامسا - نزلهم منزلة من لم يسمع أصلا، بجعل سماعهم بمنزلة العدم، حيث إنه سماع لا وزن له، ولا فائدة فيه.

الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون هم الكفار سمعوا بآذانهم دون قلوبهم فسماعهم كلا سماع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## المبحث الثالث
## الاستجابة لما فيه الحياة الأبدية

قال الله -تعالى-

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)

### مناسبة الآية لما قبلها

افتتاح السورة كان بالأمر بالطاعة والتقوى، ثم بيان أن حق المؤمنين الواجب عليهم أن يخافوا الله ويطيعوه ويمتثلوا أمره وإن كانوا كارهين، وضرب لهم مثلا بكراهتهم الخروج إلى بدر، ثم بكراهتهم لقاء النفير وأوقفهم على ما احتنبوه من بركات الامتثال وكيف أيدهم الله بنصره ونصب لهم عليه أمارة الوعد بإمداد الملائكة لتطمئن قلوبهم بالنصر وما لطف بهم من الأحوال، وجعل ذلك كله إقناعا لهم بوجوب الثبات في وجه المشركين عند الزحف ثم عاد إلى الأمر بالطاعة وحذرهم من أحوال الذين يقولون سمعنا وهم لا يسمعون، وأعقب ذلك بالأمر بالاستجابة للرسول إذا دعاهم إلى شيء فان في دعوته إياهم إحياء لنفوسهم وأعلمهم أن الله يكسب قلوبهم بتلك الاستجابة قوى قدسية.

واختير في تعريفهم، عند النداء، وصف الإيمان ليومئ إلى التعليل، أي أن الإيمان هو الذي يقتضي أن يتقوا بعناية الله بهم فيمتثلوا أمره إذا دعاهم[1].

### بيان فضل العمل بالآية

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقَالَ

(١) التحرير والتنوير ٩/٤.



ما منعك أن تأتي ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنو
دعاكم) ثم قال لأعلمنك أعظم سورة في القرآن
الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له وا
خبيب بن عبد الرحمن سمع حفصا سمع أبا س
صلى الله عليه وسلم بهذا وقال هي الحمد
المثاني[1].

قول: ما ذكر هنا ليس نصا صريحا
المعنى والفصل

### التحليل اللف

(استَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) يعني أجيبو
هي طاعة أمره، وإنما خرجت عن هذا الل
فصارت إجابة لها.

**والاستجابة:** الإجابة، فالسين والتا

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير باب (يا أيها
لما يحييكم حديث ٤٦٤٧ ١١/٢٩٢
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الم
ط دار طوق النجاة الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ
وأخرجه أبو داود فى باب فاتحة الكتاب حديث(
وفىخلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد ا
أبو زكريا محيي الدين يحيى بـ
حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الج
ط: مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت
الطبعة: الاولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[illegible] (١)

قول: ما ذكر هنا أوفى نصا مصرحا في السورة فهو من قبيل بيان المعنى والفصل

## التحليل اللغوي

(استجيبوا لله وللرسول ) يعني أجيبوا الله و الرسول و إجابة الله تعالى هي طاعة أمره، وإنما خرجت عن هذا اللفظ لأنها في مقابلة الدعاء إليها فصارت إجابة لها.

والاستجابة: الإجابة، فالسين و التاء فيها للتأكيد، وقد غلب استعمال

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب يا أيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم حديث ٤٦٤٧ ١١/٢٩٢

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري

ط دار طوق النجاة الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ

وأخرجه أبو داود في باب فاتحة الكتاب حديث(١٤٦٠) ١/٥٤٤

وفي خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام ١/٤٩٦

أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)

حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل

ط: مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستجابة في إجابة طلب معين أو في الاعم، فأما الإجابة فهي إجابة لنداء وغلب أن يعدى باللام إذا اقترن بالسين والتاء، وتقدم ذلك عند قوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} في آل عمران [١٩٥].

وإعادة حرف الجر بعد واو العطف في قوله: {وَلِلرَّسُولِ} للإشارة إلى استقلال المجرور بالتعلق بفعل الاستجابة، تنبيها على أن استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم أعم من استجابة الله لأن الاستجابة لله لا تكون إلا بمعنى المجاز وهو الطاعة بخلاف الاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام فإنها بالمعنى الأعم الشامل للحقيقة وهو استجابة ندائه، وللمجاز وهو الطاعة فأريد أمرهم بالاستجابة للرسول بالمعنيين كلما صدرت منه دعوة تقتضي أحدهما.

ألا ترى أنه لم يعد ذكر اللام في الموقع الذي كانت فيه الاستجابة لله والرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى واحد، وهو الطاعة، وذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} [آل عمران: ١٧٢] فإنها الطاعة للأمر باللحاق بجيش قريش في حمراء الأسد بعد الانصراف من أحد فهي استجابة لدعوة معينة.

**(إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ) فيه سبعة أقاويل:**

**أحدها:** إذا دعاكم إلى الإيمان، قاله السدي.

**والثاني:** إذا دعاكم إلى الحق، قاله مجاهد.

**والثالث:** إذا دعاكم إلى ما في القرآن، قاله قتادة.

**والرابع:** إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو، قاله ابن إسحاق.

**والخامس:** إذا دعاكم إلى ما فيه دوام حياتكم في الآخرة، ذكره علي بن عيسى.

**والسادس:** إذا دعاكم إلى ما فيه إحياء أمركم في الدنيا، قاله الفراء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسابع: أنه على عموم الدعاء فيما أمرهم به.

وأفرد ضمير {دَعَاكُمْ} لأن الدعاء من فعل الرسول مباشرة.

وليس قوله: {إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} قيدا للأمر باستجابة ولكنه تنبيه على أن دعاءه إياهم لا يكون إلا إلى ما فيه خير لهم وإحياء لأنفسهم.

{إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} لما فيه حياتكم ولما هو سبب في حياتكم الإيمان والعمل الصالح والجهاد.

واللام في {لِمَا يُحْيِيكُمْ} لام التعليل أي دعاكم لأجل ما هو سبب حياتكم الروحية.

والأحياء تكوين الحياة في الجسد، والحياة قوة بها يكون الإدراك والتحرك بالاختيار ويستعار الأحياء تبعا الاستعارة الحياة للصفة أو القوة لتشبيها كمال موصوفها فيما يراد منه مثل حياة الأرض بالإنبات وحياة العقل بالعلم وسداد الرأي، وضدها الموت في المعاني الحقيقية والمجازية، قال تعالى: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ} [النحل: ٢١] {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ} سورة الأنعام [١٢٢].

والإحياء والإماتة تكوين الحياة والموت. وتستعار الحياة والإحياء لبقاء الحياة

( وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ) فيه سبعة أقاويل:

أحدها: يحول بين الكافر والإيمان، وبين المؤمن والكفر، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير والضحاك.

والثاني: يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل، قاله مجاهد.

والثالث: يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه، قاله السدي.

والرابع: معناه أنه قريب من قلبه يحول بينه وبين أن يخفى عليه

شيء من سره أو جهره فصار أقرب من حبل الوريد، وهذا تحذير شديد، قاله قتادة.

**والخامس:** معناه يفرق بين المرء وقلبه بالموت فلا يقدر على استدراك فائت. ذكره علي بن عيسى.

**والسادس:** يحول بين المرء وما يتمناه بقلبه من البقاء وطول العمر والظفر والنصر، حكاه ابن الأنباري.

**والسابع:** يحول بين المرء وما يوقعه في قلبه من رعب خوف أو قوة وأمن، فيأمن المؤمن من خوفه، ويخاف الكافر عذابه[1].

**المعنى الإجمالى للآية:**

**يقول العلامة أبو بكر الجزائرى- رحمه الله-**

(هذا هو النداء الثالث بالكرامة للمؤمنين، الرب تعالى يشرفهم بندائه ليكرمهم بما يأمرهم به أو ينهاهم عنه تربية لهم وإعداداً لهم لسعادة الدارين وكرامتهما فيقول (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) وهو بمعنى النداء الأول أطيعوا الله ورسوله. وقوله (لما يحييكم) إشعار بأن أوامر الله تعالى ورسوله كنواهيهما لا تخلوا أبداً مما يحيي المؤمنين أو يزيد في حياتهم أو يحفظها عليهم، ولذا وجب أن يطاع الله ورسوله ما أمكنت طاعتهما. وقوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) تنبيه عظيم للمؤمنين إذا سنحت لهم فرصة للخير ينبغي أن يفترصوها قبل الفوات لاسيما إذا كانت دعوة من الله أو رسوله، لأن الله تعالى قادر على أن يحول بين المرء وما يشتهي وبين المرء وقلبه فيقلب القلب ويوجهه إلى وجهة أخرى فيكره فيها الخير ويرغب في الشر قوله (وأنه إليه تحشرون) فالذي يعلم أنه سيحشر رغم أنفه إلى الله تعالى كيف يسرع له عقله أن

---

(١) ( تفسير الماوردى ) النكت والعيون ٢/٣٠٧:٣٠٩ بتصرف.

يسمع نداءه بأمره فيه أو ينهاه فيعرض عنه. ) (١).

## ما يتعلق بالآية من معان وأحكام

الأمر في قوله (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ)

حول الأمر الوارد في قولـه تعـالى (اسْـتَجِيبُوا لِلَّـهِ وَلِلرَّسُـولِ )

يقول الإمام الرازي -رحمه الله-

(أكثر الفقهاء على أن ظاهر الأمر للوجوب وتمسكوا بهذه الآية على صحة قولهم من وجهين

**الوجه الأول** أن كل من أمره الله بفعل فقد دعاه إلى ذلك الفعل وهذه الآية تدل على أنه لا بد من الإجابة في كل ما دعاه الله إليه

فإن قيل قوله اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ أمر فلم قلتم إنه يدل على الوجوب وهل النزاع إلا فيه فيرجع حاصل هذا الكلام إلى إثبات أن الأمر للوجوب بناء على أن هـذا الأمر يفيد الوجوب وهو يقتضي إثبات الشيء بنفسه وهو محال

والجواب أن من المعلوم بالضرورة أن كل ما أمر الله به فهو مرغب فيه مندوب إليه فلو حملنا قوله(اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ) على هـذا المعنى كان هذا جارياً مجرى إيضاح الواضحات وأنه عبث

فوجب حمله على فائدة زائدة وهي الوجوب صوناً لهذا النص عن التعطيل ويتأكد هذا بأن قوله تعالى بعد ذلك (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ )جار مجرى التهديـد والوعيـد وذلك لا يليق إلا بالإيجاب

**الوجه الثاني** في الاستدلال بهذه الآية على ثبوت هذا المطلوب مـا روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) مر على

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢/٢٩٨بتصرف

المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري.

باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ( ما منعك عن إجابتي )[1]. قال كنت أصلي قال ( ألم تخبر فيما أوحى إلي استجيبوا لله وللرسول ) فقال لا جرم لا تدعوني إلا أجيبك والاستدلال به أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لما دعاه فلم يجبه لامه على ترك الإجابة وتمسك في تقرير ذلك اللوم بهذه الآية فلولا دلالة هذه الآية على الوجوب وإلا لما صح ذلك الاستدلال وقول من يقول مسألة أن الأمر يفيد الوجوب مسألة قطعية فلا يجوز التمسك فيها بخبر الواحد ضعيف لأنا لا نسلم أن مسألة الأمر يفيد الوجوب مسألة قطعية بل هي عندنا مسألة ظنية لأن المقصود منها العمل والدلائل الظنية كافية في المطالب العملية

فإن قالوا إنه تعالى ما أمر بالإجابة على الإطلاق بل بشرط خاص وهو قوله إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ فلم قلتم إن هذا الشرط حاصل في جميع الأوامر

قلنا قصة أبي بن كعب تدل على أن هذا الحكم عام وغير مخصوص بشرط معين وأيضاً فلا يمكن حمل الحياة ههنا على نفس الحياة لأن إحياء الحي محال فوجب حمله على شيء آخر وهو الفوز بالثواب وكل ما دعا الله إليه ورغب فيه فهو مشتمل على ثواب فكان هذا الحكم عاماً في جميع الأوامر وذلك يفيد المطلوب)[2].

**أقول وبالله التوفيق:**

في هذه الآية الكريمة دليل على أن الفعل الفرض أو القول الفرض إذا أتي به في الصلاة لا تبطل، لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإجابة وإن كان في الصلاة،أى أجيبوا الله فى اتجاه قلبى إلى ما يأمركم

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري٢/٢٠

تأليف / جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي

دار النشر / دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ.

(٢) مفاتيح الغيب ١٥/١١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

به، وأجيبوا الرسول فى تبليغه ما يأمر به الله إذا دعاكم إلى أوامر الله بالأحكام التى فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكم وقلوبكم، ولما كان دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخلوا عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله الأمة بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملا من الأعمال.

وجوب إجابة الرسول إذا دعا أحدا وهو في الصلاة

**حول هذا الحكم يقول الإمام الآلوسى -رحمه الله -**

(واستدل بالآية على وجوب إجابته صلى الله تعالى عليه وسلم إذا نادى أحدا وهو في الصلاة وعن الشافعي أن ذلك لا يبطلها لأنها أيضا إجابة وحكى الروياني أنها لا تجب وتبطل الصلاة بها وقيل: إنه يقطع الصلاة إذا كان الدعاء لأمر يفوت بالتأخير كما إذا رأى أعمى وصل إلى بئر ولو لم يحذره لهلك وأيد القول بالوجوب بما أخرجه الترمذي[1].

والنسائي عن أبي هريرة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال: ما منعك من إجابتي قال: كنت أصلي قال: ألم تخبر فيما أوحي استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال: بلى ولا أعود إن شاء الله تعالى ثم إنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له: لأعلمنك سورة أعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني وأنت تعلم أنه لا دلالة فيه على أن إجابته صلى الله تعالى عليه وسلم لاتقطع الصلاة وقال بعضهم: إن ذلك الدعاء كان لأمر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله ) [2].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥/١١٧.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني٩/١٩١

المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## دعوة الرسول- صلى الله عليه وسلم- لما يحيينا

### قال الإمام الرازى -رحمه الله-

(ذكروا في قوله (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ )وجوهاً الأول قال السدي هو الإيمان والإسلام وفيه الحياة لأن الإيمان حياة القلب والكفر موته يدل عليه قوله تعالى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ( الروم ١٩ ) قيل المؤمن من الكافر، الثاني قال قتادة يعني القرآن أي أجيبوه إلى ما في القرآن ففيه الحياة والنجاة والعصمة وإنما سمي القرآن بالحياة لأن القرآن سبب العلم والعلم حياة فجاز أن يسمى سبب الحياة بالحياة، الثالث قال الأكثرون لِمَا يُحْيِيكُمْ هو الجهاد ثم في سبب تسمية الجهاد بالحياة

**وجوه أحدها** هو أن وهن أحد العدوين حياة للعدو الثاني فأمر المسلمين إنما يقوى ويعظم بسبب الجهاد مع الكفار، **وثانيها** أن الجهاد سبب لحصول الشهادة وهي توجب الحياة الدائمة قال تعالى وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ( آل عمران ١٦٩ )، **وثالثها** أن الجهاد قد يفضي إلى القتل والقتل يوصل إلى الدار الآخرة والدار الآخرة معدن الحياة قال تعالى وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ ( العنكبوت ٦٤ ) أي الحياة الدائمة

**والقول الرابع**( لِمَا يُحْيِيكُمْ) أي لكل حق وصواب وعلى هذا التقدير فيدخل فيه القرآن والإيمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة والمراد من قوله( لِمَا يُحْيِيكُمْ)الحياة الطيبة الدائمة قال تعالى(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ( النحل ٩٧ )

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقول وبالله التوفيق:

الاستجابة تكون لأمر عظيم، وصفه الله تعالى بقوله (لما يحييكم) والأمر الذي أقول يحيى الناس جميعا العقيدة، وما اشتمل عليه القرآن من أمر ونواه، فإن العقيدة وما اشتملت عليه من توحيد بها إحياء للعقول والنفوس بإدراك الحق، وإنقاذها من الأوهام، والبعد عن مزالق الشيطان قال تعالى: (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها( الأنعام١١٢) فجعل الهداية حياة، وجعل الشرك موتا، أو عيشا في الظلمات.

## ما ترشد إليه الآية

أولا- المقصود من الآية الكريمة تحذير المؤمنين من كل خاطر يخطر في النفوس: من التراخي في الاستجابة إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتنصل منها، أو التستر في مخالفته

ثانيا - هذه الآية تدلُّ على أنَّ الأمر يفيدُ الوجوب ؛ لأنها تدل على أنه لا بدَّ من الإجابة في كل ما دعاه الله إليه.

ثالثا - أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه ويريده بقلبه فإن الأجل يحول دون الأمل فكأنه قال بادروا إلى الأعمال الصالحة ولا تعتمدوا على ما يقع في قلوبكم من توقع طول البقاء فإن ذلك غير موثوق به

رابعا - قوله( وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) المقصود منها الحث على الطاعة قبل نزول الموت الذي يمنع منها فهذه الجملة السامية تربى مهابة اللقاء، وتؤكده، وإنه لقاء بالغفور الرحيم العزيز الحكيم المنعم الجبار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المبحث الرابع
# تحريم الخيانة

قال الله – تعالى–

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)

## مناسبة الآيتين لما قبلهما

استئناف خطاب للمؤمنين يحذرهم من العصيان الخفي، بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، حذرهم من أن يظهروا الطاعة والاستجابة في ظاهر أمرهم ويبطنوا المعصية والخلاف في باطنه. ومناسبته لما قبله ظاهرة وان لم تسبق من المسلمين خيانة وإنما هو تحذير[١].

## سبب نزول الآية

**قال الإمام الواحدى – رحمه الله –**

نزلت في أبي لُبابة بن عبد المنذر الأنصاري، وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذْرِعات وأريحا من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لُبابة، وكان مناصحًا لهم، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى؟ أننْزِل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى

---

(١) التحرير والتنوير ٩/٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حلفه: ابه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماى حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله، فنزلت فيه هذه الآية، فلما نزلت شدّ نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعامًا حتى خر مغشيا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "يجزيك الثلث أن تتصدق به"[١].

وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعن جابر بن عبد الله أنّ أبا سفيان خرج من مكة، فعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم الذهاب إليه، فكتب رجل من المنافقين إليه: إنّ محمداً يريدكم فخذوا حذركم، فنزلت[٢].

قلت: السبب الأول فى نزولها هو الصحيح،والآيتان تشملان الأمرين الأخرين بطريق العموم،أى أنهما يندرجان تحت عمومها.

---

(١) أسباب النزول ١/٢٢٦

المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان.

(٢) تفسير السراج المنير ١/٤٤٦

المؤلف: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين ط دار الكتب العلمية – بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## التحليل اللفظي

قوله سبحانه( يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) هذا خطاب لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة وهو يجمع أنواع الخيانات كلها قليلها وكثيرها والخيانة التنقص للشيء بإختفاء وهي مستعملة في أن يفعل الإنسان خلاف ما ينبغي من حفظ أمر ما مالا كان أو سرا أو غيرذلك، والخيانة لله عز و جل هي في تنقص أوامره في سر

**و فيه قولان:**

**أحدهما:** لا تخونوا الله سبحانه والرسول عليه السلام كما صنع المنافقون في خيانتهم، قاله الحسن والسدي.

**والثاني:** لا تخونوا الله والرسول فيما جعله لعباده من أموالكم.

ويحتمل ثالثاً: أن خيانة الله بمعصية رسوله، وخيانة الرسول، بمعصية كلماته

وقوله (وتخونوا أماناتكم) قال الطبري يحتمل أن يكون داخلا في النهي كأنه قال لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم ويحتمل أن يكون المعنى لا تخونوا الله والرسول فذلك خيانة لأماناتكم، **وفيه ثلاثة أوجه:**

**أحدها:** فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم.

**الثاني:** فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها حقها ولا تخونوها بتركها.

**والثالث:** أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان.

**( وَأَنتُم تَعْلَمُونَ ) فيه قولان:**

**أحدهما:** وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة.

**والثاني:** وأنتم تعلمون ما في الخيانة من المأثم بخلاف من جهل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله( فتنة) يريد محنة واختبارا وامتحانا ليرى كيف العمل في جميع ذلك

وقوله( وأن الله عنده أجر عظيم) يريد فوز الآخرة فلا تدعوا حظكم منه للحيطة على أموالكم وأبنائكم فإن المذخور للآخرة أعظم أجرا

**وهو يحتمل وجهين:**

**أحدهما:** أن ما عند الله تعالى من الأجر خير من الأموال والأولاد.

**والثاني:** أن ما عند الله تعالى من أجر الحسنة التي يجازي عليها بعشر أمثالها أكثر من عقوبة السيئة التي لا يجازي عليها إلا بمثلها[1].

**المعنى الإجمالى للآيتين**

قوله - تعالى ذكره - للمؤمنين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) وخيانتهم الله ورسوله، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمانَ في الظاهر والنصيحةَ، وهو يسرُّ الكفر والغش لهم في الباطن

(هذا نداء رباني آخر يوجه إلى المؤمنين {يا أيها الذين آمنوا} أي يا من آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً. {لا تخونوا الله والرسول} بأن يظهر أحدكم الطاعة لله ورسوله، ويستسر المعصية، ولا تخونوا أماناتكم التي يأتمن بعضكم بعضاً عليها {وأنتم تعلمون} عظيم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس والمجتمع، هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون} وقوله تعالى {واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن٢/٩٣

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي- ط/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت

وينظر ( تفسير الماوردى ) النكت والعيون ٢/٣١١بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عنده أجر عظيم} فيه إشارة إلى السبب الحامل على الخيانة غالباً وهو المال والأولاد فأخبرهم تعالى أن أموالهم وأولادهم فتنة تصرفهم عن الأمانة والطاعة، وأن ما يرجوه من مال أو ولد ليس بشيء بالنسبة إلى ما عند الله تعالى إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن أطاعه واتقاه وحافظ على أمانته مع الله ورسوله ومع عباد الله) [١].

**ما يتعلق بالآيتين من أحكام**

**أصل الخيانة ، ومعناها فى الآية**

فى أصل الخيانة ومعناها فى الآية يقول العلامة الخازن -رحمه الله-

(وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لأن من خان شيئاً فقد نقصه والخيانة ضد الأمانة ، وقيل في معنى الآية: لا تخونوا الله والرسول فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم.

**وقال ابن عباس:** معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والأعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة: اعلموا أن دين الله أمانة فأدوا إلى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ومنه الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ( أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك ) [٢]. أخرجه أبو داود والترمذي وقال

---

(١) أيسر التفاسير ٢/٣٠٠.

(٢) أخرجه أبو داود فى باب الرجل يأخذ حقه بيده (٣٥٣٦) السنن ٣/٣١٣ قال الألباني: صحيح

والترمذى حديث ٢٦٤ سنن الترمذى ٢/٥٦٤ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ط دار إحياء التراث العربى.



حديث حسن غريب[١].

**أقول وبالله التوفيق:**

فإذا كان الله يقول لنا( لا تخونوا الله والر التشريع وصلنا من الله بواسطة الرسول، ومن لأن الله لم يخاطبنا مباشرة، بل خاطب رسولاً بمعجزة. وكل بلاغ وصلنا إنما كان بواسطة

**الغرض من جملة(وأنتم تعلمون)**

(وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله فكان ذ الخيانة لأن العالم بما يترتب على الذنب يكو تعلمون أن الخيانة توجد منكم عن تعمّد لا تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن) [٢].

**لماذا قدم الله تعالى الأموال على**

**أجاب عن هذا السؤال الشيخ الش**

لماذا قدم الحق تبارك وتعالى الأمو واحد له مال ولو لم يكن له إلا ملبسه. و ثم إن الأبناء ينشأون من الزواج، ومجي كان من المنطق أن يأتي الحق بالأموال

وأساليب القرآن الكريم تتناول ه الحق سبحانه وتعالى:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّ

وفي هذا القول نجد أن القناطير

---

(١) لباب التأويل ٢/٢٥.

(٢) البحر المحيط ٤/٤٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حديث حسن غريب[١].

**أقول وبالله التوفيق:**

فإذا كان الله يقول لنا( لا تخونوا الله والرسول) فعلينا أن نلتزم؛ لأن التشريع وصلنا من الله بواسطة الرسول، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله؛ لأن الله لم يخاطبنا مباشرة، بل خاطب رسولاً اصطفاه من خلقه وأيده بمعجزة. وكل بلاغ وصلنا إنما كان بواسطة الرسول.

**الغرض من جملة(وأنتم تعلمون)**

(وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله فكان ذلك أبعد لكم من الوقوع في الخيانة لأن العالم بما يترتب على الذنب يكون أبعد الناس عنه، وقيل وأنتم تعلمون أن الخيانة توجد منكم عن تعمّد لا عن سهو، وقيل وأنتم عالمون تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن) [٢].

**لماذا قدم الله تعالى الأموال على الأولاد؟**

**أجاب عن هذا السؤال الشيخ الشعراوى – رحمه الله –قائلا**

لماذا قدم الحق تبارك وتعالى الأموال على الأولاد؟. ونقول: لأن كل واحد له مال ولو لم يكن له إلا ملبسه. وبطبيعة الحال ليس لكل واحد أولاد. ثم إن الأبناء ينشأون من الزواج، ومجيء الزوج، يحتاج إلى المال؛ لذلك كان من المنطق أن يأتي الحق بالأموال أولاً ثم يأتي بذكر الأولاد.

ولأساليب القرآن الكريم تتناول هذا الموضوع بألوان مختلفة؛ فيقول الحق سبحانه وتعالى:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ }[آل عمران: ١٤].

وفي هذا القول نجد أن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تأخرت

---

(١) لباب التأويل ٢|٢٥.

(٢) البحر المحيط ٤|٤٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هنا عن النساء والبنين. ولم يأت بذكر الأموال أولاً ثم الأولاد كفتنة. وعلينا أن ننتبه أنه سبحانه وتعالى جاء هنا بالقناطير المقنطرة، وهي تأتي بعد تحقيق الشهوة الأولى؛ وهي النساء، والزينة الثانية وهي الأبناء، ونعلم أن من عنده مال يكفيه للزواج والإنجاب قد يطمع في المزيد من المال، فإن كانت الوحدة من القناطير المقنطرة هي القنطار، فمعنى ذلك أن الإنسان الذي يملك قنطاراً إنما يطمع في الزيادة مثلما يطمع من يملك ألف جنيه في أن يزيد ما يمتلكه ويصل إلى مليون جنيه، وهكذا. إذن فالقناطير المقنطرة تعني الرغبة في المبالغة في الغنى.

وهنا يقول الحق تبارك وتعالى:

{ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } [الأنفال: ٢٨].

ويقول في آية ثانية:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ }[التغابن: ١٤].

وفي هذا القول نجد أن العداوة تأتي من الأزواج قبل الأولاد، ونعلم أن الزوجة في بعض الأحيان هي التي تكره أولاً ثم يتأثر بكراهيتها ويتشبه بها الأبناء، وهذا كلام منطقي؛ لأن الذي يتكلم هو رب حكيم.

{ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ }.

وفي هذا القول تحذير واضح: إياكم أن ترسبوا في هذا الاختبار؛ فمن يجمع المال من حرام لترف أبنائه فهو خائن للأمانة، وهذا له عقاب، ولذلك يذكرنا الحق تبارك وتعالى في آخر هذه الآية بما يحبب إلينا النجاح في الاختبار فيقول سبحانه: {وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.

ونعلم أن النفس البشرية مولعة بحكم تكوينها الفطري من الله بحب النفع لنفسها، ولكن المختلف فيه قيمة هذا النفع؛ وعمر هذا النفع؛ لأن الذي يسرق إنما يريد أن ينفع نفسه بجهد غيره، ومن لا يسرق يريد أيضاً أن ينفع نفسه ليبارك الله له في المال وأن يعطيه الرزق الحلال. وهكذا تكون



النفعية وراء كل عمل سواء أكان إيجاباً أم سلباً.

والمثال الذي أضربه دائماً لذلك هو الطالب الذي يهمل ويوقظه أهله كل صباح بصعوبة، ثم يخرج من المنزل ا الشوارع، والطالب الثاني الذي استيقظ صباحاً وذهب إلى م على دروسه، إنَّ كلاً من الطالبين قد أراد نفع نفسه، الفا الأحمق، والناجح أراد النفع في المستقبل. ونعرف أن النفع لكل نفس. والمهم هو قيمة النفع، وعمر النفع. فإذا كانت ا نفعاً في أولادك أو أموالك؛ فاذكر ما يقابل الأمانة من الأ وجل، وضع هذه في كفة، وضع تلك في الكفة الأخرى، و ترجح، ولا بد أن ترجح كفة الأجر عند الله عز وجل.

إذن فالمعيار الذي نقيس به النفع هو محل الاختلا

وفي عرف البشر نجد أن الأجر يساوي قيمة العم الله لا يساوي العمل فقط، بل هو عظيم بطلاقة قدرة الـ

**أقول وبالله التوفيق:**

إذا كان المولى – تبارك وتعلى – يقول (وَاعْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) فهما سبب لوقوع الفتنة المحنة والاخ تحافظون على حدود الله فيها فالأجر العظيم عنده إ المرء بماله وولده فيؤثر محبته لهما على ما عند الله الولد حتى يؤثر ذلك كما فعل أبو لبابة لأجل كون ما قريظة ففعل ما قصته علينا الآيات. ولما كان سبب الولد وكان الولد أعز محبوب ؛ حسن كل الحس وَاعْلَمُوا)وهي كلمة ينبه بها السامع على أن ما بعده

---

(١) تفسير الشيخ الشعراوى ٨/٤٦٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النفعية وراء كل عمل سواء أكان إيجاباً أم سلباً،

والمثال الذي أضربه دائماً لذلك هو الطالب الذي يهمل في دروسه، ويوقظه أهله كل صباح بصعوبة، ثم يخرج من المنزل ليتسكع في الشوارع، والطالب الثاني الذي استيقظ صباحاً وذهب إلى مدرسته وانكب على دروسه، إنْ كلاً من الطالبين قد أراد نفع نفسه، الفاشل أراد النفع الأحمق، والناجح أراد النفع في المستقبل. ونعرف أن النفع غاية مطلوبة لكل نفس. والمهم هو قيمة النفع، وعمر النفع. فإذا كانت الخيانة ستؤدي لك نفعاً في أولادك أو أموالك؛ فاذكر ما يقابل الأمانة من الأجر عند الله عز وجل، وضع هذه في كفة، وضع تلك في الكفة الأخرى، وانظر أي كفة ترجح، ولا بد أن ترجح كفة الأجر عند الله عز وجل.

إذن فالمعيار الذي نقيس به النفع هو محل الاختلاف.

وفي عرف البشر نجد أن الأجر يساوي قيمة العمل، لكن الأجر عند الله لا يساوي العمل فقط، بل هو عظيم بطلاقة قدرة الحق سبحانه[1].

**أقول وبالله التوفيق:**

إذا كان المولى - تبارك وتعلى - يقول (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) فهما سبب لوقوع الفتنةو المحنة والاختبار لكم فكيف تحافظون على حدود الله فيها فالأجر العظيم عنده إشارة إلى أن لا يُفتن المرء بماله وولده فيؤثر محبته لهما على ما عند الله فيجمع المال ويحب الولد حتى يؤثر ذلك كما فعل أبو لبابة لأجل كون ماله وولده عند بني قريظة ففعل ما قصته علينا الآيات. ولما كان سبب الخيانة محبة المال أو الولد وكان الولد أعز محبوب ؛ حسن كل الحسن إيلاء ذلك قوله( واعلموا)وهي كلمة ينبه بها السامع على أن ما بعدها مهم جداً (أنما أموالكم )

---

(١) تفسير الشيخ الشعراوى ٨/٤٦٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سواء أكانت قليلة أم كثيرة (وأولادكم فتنة) يفعل الله بها فعل المختبر ليكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفاني ممن تسمو نفسه عن ذلك، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر الله فتهلكوا فالأجر العظيم عند الله لمن وفى عند حدوده، فيحفظ له ماله ويثمر أولاده ويبارك له فيهم مع ما يدخر له في دار السعادة، وعنده عذاب أليم لمن ضيعها، فأقبلوا بجميع هممكم إليه تسعدوا.

## ما ترشد إليه الآيتان

أولا - تحريم الخيانة مطلقاً وأسوأها ما كان خيانة لله ورسوله.

ثانيا- في الأموال والأولاد فتنة قد تحمل صاحبها على خيانة الله ورسوله، فليحذرها المؤمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المبحث الخامس
# ثمرة تقوى الله - عز وجل -

قال الله- تعالى -
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

## مناسبة الآية لما قبلها

(واعلم أنه تعالى لما حذر من الفتنة بالأموال والأولاد رغب في
ل التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال) [١].

(ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف ، وامتنّ عليهم
عزهم به ، وختم هذه بالتحذير من الأموال والأولاد الموقعة في الردى
عظيم ما عنده الحامل على الرجاء ، تلاها بالأمر بالتقوى الناهية عن
ل بالإشارة إلى الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع بينهما ،
تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره في الأولى والنجاة من عذابه في
ى فقال {يأيها الذين آمنوا} تكريراً لهذا الوصف ) [٢].

## التحليل اللفظى

قوله سبحانه( يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله) الآية وعد للمؤمنين
ط التقوى والطاعة لله سبحانه ويجعل لكم فرقانا معناه فرقا بين حقكم
ل من ينازعكم بالنصر والتأييد وعبر قتادة وبعض المفسرين عن
فان هاهنا بالنجاة وقال مجاهد والسدي معناه مخرجا[٣].

**قال الليث:** التّقوى أصلها وَقوَى على فَعلى من وقيت، فلمّا فتحت

---

مفاتيح الغيب١٥/١٢٣.

نظم الدرر٣/٣٤٠.

الجواهر الحسان٢/٩٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلبت الواو تاءً، ثم تركت التاء في تصريف الفعل على حالها في والتَّقوَى والتُّقيَّة والتَّقيّ والاتقاء.

قال: والتُّقاة جمعٌ، وتُجمع تُقياً، كالأباة تُجمع أبيّاً. ويقال: تُقاة طُلاة وطُلًى. ورجل تَقيّ ويُجمع أتقياء، معناه: أنّه مُوقٍ نفسه المعاصي. وتَقيّ كان في الأصل وَقْويّ على فعول فقُلبتْ الواو الأولى كما قالوا: تَوَلَج وأصله وَوْلَج، والواو الثانية قُلبتْ ياءً للياء[1].

[ وقي ] اتَّقَى يَتَّقِي و تَقَى يَتْقِي كقَضَى يَقْضِي و التَّقْوَى و الواحد و التُّقَاةُ التَّقِيَّةُ يُقال اتَّقَى تَقِيَّةً و تُقَاءً و التَّقِيُّ المُتَّقِي وقالوا ما أتقاه تَوَقَّى و اتَّقَى و اتَّقَى بمعنى و وَقَاهُ الله وِقَايَةً بالكسر حفظه[2].

(فُرْقَانًا ) نصراً ؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذ حزبه، والإسلام بإعزاز أهله. ومنه قوله تعالى: ) يَوْمَ الْفُرْقَانِ ( ( الأنفا ٤١ ) أو بياناً وظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم في أقط الأرض، من قولهم: ( بتّ أفعل كذا ) حتى سطع الفرقان: أي طلع الفجر أو مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور. أو تفرقة بينكم وبي غيركم من أهل الأديان، وفضلاً ومزية في الدنيا والآخرة[3].

[ فرق ]: فَرَقَ بين الشيئين من باب نصر و فُرْقَاناً أيضا و فَرَّق الشيء تَفْرِيقا و تَفْرِقة فانفَرَق و افْتَرَق و تَفَرَّق وأخذ حقه منه بالتَّفارِيق

---

(١) تهذيب اللغة ١٧٩/٩ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) مختار الصحاح ٧٤٠/١ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي
مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢٠٤/٢
المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي
الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله تعالى { وقرآنا فرقناه } من خفف قال بيناه من فَرَقَ يفرق[١].

"ويكفر عنكم سيئاتكم" يقول يمحو عنكم ذنوبكم "ويغفر لكم" يعني يستر ذنوبكم وعيوبكم "والله ذو الفضل العظيم" يعني ذو الكرم والتجاوز عن عباده[٢].

قلت:

والتقوى: كف النفس عما نهى الشارع عنه حراما كان أم مكروها.

وقيل: التقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة.

## المعنى الإجمالى للآية:

{ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله..} هذا حض على التقوى وترغيب فيها بذكر أعظم النتائج لها وهي أولاً إعطاء الفرقان وهو النصر والفصل بين كل مشتبه، والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع، والصحيح والفاسد، وثانياً تكفير السيئآت، وثالثاً مغفرة الذنوب ورابعاً الأجر العظيم الذي هو الجنة ونعيمها فختام الآية {والله ذو الفضل العظيم} إشارة إلى ما يعطيه الله تعالى أهل التقوى في الآخرة وهو الجنة ورضوانه على أهلها، ولنعم الأجر الذي من أجله يعمل العاملون[٣].

(امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئا كثيرا،فذكر هنا أن من اتقى ربه حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها:

الأول: الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى

---

١ مختار الصحاح ١/٥١٧.

٢ بحر العلوم ــ ٢/١٧ أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي

النشر: دار الفكر - بيروت تحقيق: د.محمود مطرجي.

٣ أيسر التفاسير ٢/٣٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

**الثاني والثالث:** تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب،وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

**الرابع:** الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه. { وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }[1].

## ما يتعلق بالآية من أحكام

### أوجه التقوى فى القرآن الكريم:

وذكر أهل التفسير أن التقوى في القرآن على خمسة أوجه:

**أحدها:** التوحيد، ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ( ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض..)( ١٣١)وفي الحجرات: ( أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى..)( ٣ ).

**والثاني:** الإخلاص، ومنه قوله تعالى في الحج: ( فإنها من تقوى القلوب) ( ٣٢ )، أراد من إخلاص القلوب.

**والثالث:** العبادة، ومنه قوله تعالى في النحل: ( أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) ( ٢ )، وفي المؤمنين: ( وأنا ربكم فاتقون ( ٥٢ )، وفي الشعراء: ( قوم فرعون ألا يتقون )( ١١ ).

**والرابع:** ترك المعصية، ومنه قوله تعالى في البقرة: (.. وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله..) (١٩٠ ).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣١٩/١ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والخامس: الخشية، ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ( يـا أيهـا الناس اتقوا ربكم..) ( ١ )، وفي الشعراء: ( إذ قال لهم أخـوهم نـوح ألا تتقون )(١٠٦)

وكذلك في قصة هود وصالح وشعيب(١) وهذه المعانى متلازمة[١].

لماذا أدخل الشرط فى الحكم ؟

قال الإمام الرازى- رحمه الله -

(لقائل أن يقول إدخال الشرط في الحكم إنما يحسن في حق من كـان جاهلاً بعواقب الأمور وذلك لا يليق بالله تعالى

والجواب أن قولنا إن كان كذا كان كذا لا يفيـد إلا كـون الشـرط ستلزماً للجزاء فأما أن وقوع الشرط مشكوك فيه أو معلوم فـذلك غيـر ستفاد من هذا اللفظ سلمنا أنه يفيد هذا الشك إلا أنه تعالى يعامل العباد في جزاء معاملة الشاك وعليه يخرج قولـه تعـالى وَلَنَبْلُـوَنَّكُمْ حَتَّـى نَعْلَـمَ مُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ ( محمد ٣١ ) )[٢].

**أقول وبالله التوفيق:**

لقد كان االمولى تبارك وتعلى - عالما بأنهم يتقون أو لا يتقون ولكنه جعل سبحانه التقوى شرطا في الجعل المذكور مع سبق علمه بـأنهم ون أو لا يتقون جريا على ما يخاطب به الناس بعضهم بعضا

ما تتناوله التقوى فى هذه الآية

قال الإمام الرازى- رحمه الله -

---

) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ١/٣٢٠ جمال الدين أبي الفـرج عبـد الرحمن بن الجوزي: ط مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي.

) مفاتيح الغيب١٥/١٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(هذه القضية الشرطية شرطها شيء واحد وهو تقوى الله تعالى و
يتناول اتقاء الله في جميع الكبائر وإنما خصصنا هذا بالكبائر لأنه تعالى
ذكر في الجزاء تكفير السيئات والجزاء يجب أن يكون مغايراً للش
فحملنا التقوى على تقوى الكبائر وحملنا السيئات على الصغائر ليظهر
الفرق بين الشرط والجزاء وأما الجزاء المرتب على هذا الشرط فلهم
ثلاثة الأول قوله يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا والمعنى أنه تعالى يفرق بينكم وبين
الكفار ولما كان اللفظ مطلقاً وجب حمله على جميع الفروق الحاصلة بين
المؤمنين وبين الكفار فنقول هذا الفرقان إما أن يعتبر في أحوال الدنيا أو في
أحوال الآخرة أما في أحوال الدنيا فإما أن يعتبر في أحوال القلوب وهي
الأحوال الباطنة أو في الأحوال الظاهرة أما في أحوال القلوب فأمور أحدها
أنه تعالى يخص المؤمنين بالهداية والمعرفة وثانيها أنه يخص قلوبهم
وصدورهم بالانشراح كما قال أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ
مِّن رَّبِّهِ ( الزمر ٢٢ ) وثالثها أنه يزيل الغل والحقد والحسد عن قلوبهم
ويزيل المكر والخداع عن صدورهم مع أن المنافق والكافر يكون قلبه
مملوءاً من هذه الأحوال الخسيسة والأخلاق الذميمة والسبب في حصول
هذه الأمور أن القلب إذا صار مشرقاً بطاعة الله تعالى زالت عنه كل هذه
الظلمات لأن معرفة الله نور وهذه الأخلاق ظلمات وإذا ظهر النور فلا بد
من زوال الظلمة وأما في الأحوال الظاهرة فإن الله تعالى يخص المسلمين
بالعلو والفتح والنصر والظفر كما قال وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ (
المنافقين ٨ ) وكما قال لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ( التوبة ٣٣ ) وأمر الفاسق
والكافر بالعكس من ذلك وأما في أحوال الآخرة فالثواب والمنافع الدائمة
والتعظيم من الله والملائكة وكل هذه الأحوال داخلة في الفرقان

والنوع الثاني من الأجزية المرتبة على التقوى قوله وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ فنقول إن حملنا قوله إِن تَتَّقُوا اللَّهَ على الاتقاء من الكفر كان المراد

قوله ويكفر عنكم سيئاتكم جميع السيئات التي وجدت قبل الكفر وإن حملناه على الاتقاء عن الكبائر كان المراد من هذا تكفير الصغائر

والنوع الثالث قوله (ويغفر لكم) واعلم أن المراد من تكفير السيئات سترها في الدنيا ومن المغفرة إزالتها في القيامة لئلا يلزم التكرار)[1].

أقول وبالله التوفيق:

يجب علينا أن نفرغ قلوبنا من النظر الفكرى، ونجلس مع الحق - سبحانه - بالذكر على بساط الأدب والمراقبة والحضور والتهيؤ لقبول ما يريده منا تعالى، حتى يكون الحق - سبحانه - متولي تعليمنا بالكشف والتحقق فإذا سمعناه- تعالى- يقول { إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً } توجهت قلوبنا وهممنا إلى الله عز وجل، وألقت عنها ما أستمسك به الغير من دعوى البحث والنظر ونتائج العقول،حتى تكون عقولنا سليمة وقلوبنا مطهرة.

## عِظم فضل الله - تعالى - على عباده

## قال الإمام الرازى- رحمه الله -

(وإنما قلنا إن أفضال الله أعظم من أفضال غيره لوجوه:

**الأول:** أن كل ما سوى الحق سبحانه فإنه لا يتفضل ولا يحسن إلا إذا حصلت في قلبه داعية الإفضال والإحسان وتلك الداعية حادثة فلا تحصل إلا بتخليق الله تعالى وعند هذا ينكشف أن المتفضل ليس إلا الله الذي خلق تلك الداعية الموجبة لذلك الفعل

**الثاني:** أن كل من تفضل يستفيد به نوعاً من أنواع الكمال إما عوضاً من المال أو عوضاً من المدح والثناء وإما عوضاً من نوع آخر وهو دفع

---

(١) مفاتيح الغيب١٥/١٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حاصل في القلب بسبب الرقة الجنسية والله تعالى يعطي ويتفضل و
به شيئاً من الأعواض لأنه كامل لذاته وما كان حاصلاً للشيء لذا
ن يستفيده من غيره الثالث: أن كل من تفضل على الغير فل
ل عليه يصير ممنوناً عليه من ذلك المتفضل وذلك منفر أما الحق
ه وتعالى فهو الموجد لذات كل أحد بجميع صفاته فلا يحصل
كاف من قبول إحسانه الرابع أن كل من تفضل على غيره فإنه
لمتفضل عليه بذلك التفضل إلا إذا حصلت له عين باصرة وأذن
ومعدة
هاضمة حتى ينتفع بذلك الإحسان وعند هذا ينكشف أن المتفضل هو
الحقيقة فثبت بهذه البراهين صحة قوله وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ[1].

**أقول وبالله التوفيق:**

في هذه الآية الكريمة دعوة الى تقوى الله موجهة الى المؤمنين وفيها
من ثواب المتقين حيث وعدهم الله سبحانه أن يجعل لهم هداية في
يفرقون بها بين الحق والباطل والخير والشر والإنصاف والظلم وما
، كذلك وعدهم ( ووعده الحق) أن يكفر عن سيئاتهم و يغفر لهم ما
ن من ذنوب وهو المتفضل عليهم دوماً بفضله العظيم عليهم أن
الى الإيمان والإسلام ويعفوه عن سيئاتهم وذنوبهم.

**ما ترشد إليه الآية**

**ولا** _ خطاب المؤمنين بوصف الإيمان تذكيرا لهم بعهد الإيمان وما

**انيا** _اختار الفرقان هنا لأنه اللفظ الذي لا يؤدي غيره مؤداه في هذا

---

ح الغيب ١١٨/١٥.

رض وذلك من تمام الفصاحة.

ثالثا _ في الآية الكريمة دعوة الى تقوى الله موجهة الى المؤمنين
ها جزء من ثواب المتقين حيث جعل لهم فرقانا يفرقون به بين الحق
طل والخير والشر والإنصاف والظلم

رابعا _ ما وعد به - سبحانه - المؤمنين على تقواهم إنما هو تفضل
هم، فهو - سبحانه - صاحب العطاء الجزيل، والخير العميم. لمن
ه واتقاه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المبحث السادس
# آداب القتال وقواعده

قال الله - تعالى -

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)

## مناسبة الآيات لما قبلها

(اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين يوم بدر علمهم إذا التقوا بالفئة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الأدب الأول الثبات وهو أن يوطنوا أنفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي والثاني أن يذكروا الله كثيراً ) (١).

## التحليل اللفظي

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ } الفرق بين الفئة والجماعة: أن الفئة هي الجماعة المتفرقة من غيرها من قولك فأوت رأسه أي فلقته، وانفأى الفرج إذا انفرج مكسورا، والفئة في الحرب القوم يكونون ردء المحاربين يعنون إليهم إذا حالوا ومنه قوله عزوجل " أو متحيزا إلى فئة " ثم قيل لجمع كل من يمنع احدا وينصره فئة، وقال أبو عبيدة الفئة الاعوان(٢).

{يا أيها آمنوا إذا لقيتم فئة} ؛ جماعة من الكفار عند الحرب {فاثبتوا}

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥/١٣٧.

(٢) معجم الفروق اللغوية للعسكري ١/٢٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقائهم، ولا تفروا، {واذكروا الله} في تلك الحال سراً داعين له، مستظهرين بذكره، متوجهين لنصره، معتمدين على حوله وقوته، غير ذاهلين عنه بهجوم الأحوال وشدائد الأهوال ؛ إذ لا يذكر الله تعالى في ذلك الحال إلا الأبطال من الرجال {لعلكم تفلحون} بالظفر وعظيم النوال. قال البيضاوي: وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي ألا يشغله شيء عن ذكر الله، وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره، فارغ البال، واثقاً بأن لطفه لا ينفعك عنه في جميع الأحوال{وأطيعوا الله ورسوله} فيما يأمركم به وينهاكم عنه ؛ فإن الطاعة مفتاح الخيرات، {ولا تنازعوا} باختلاف الآراء كما فعلتم في شأن الأنفال، {فتفشلوا} وتجبنوا، {وتذهب ريحُكم} أي: ريح نصركم بانقطاع دولتكم[١].

{بطراً} أي: فخراً وأشَرا

قال أبو سليمان في حديث قتادة في قوم خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال هم مشركو قريش يوم بدر خرجوا ولهم بغي وفخر[٢].

{ورئاء الناس} راءى فلانٌ يُرائي. وفَعَل ذلك رِئاءَ النّاس، وهو أن يَفعلَ شيئاً ليراه النّاس[٣]. (٢)

البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها، والرياء: إظهار الجميل ليرى وإبطان القبيح

{ويصدّون عن سبيل الله} أي: خرجوا ليصدوا الناس عن طريق الله،

---

(١) البحر المديد٣/٤٨،٤٧ أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ط دار الكتب العلمية ــ بيروت / ٢٠٠٢ م ــ ١٤٢٣ هـ.

(٢) غريب الحديث٣/١٥٥ حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٢ تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي.

(٣) معجم مقاييس اللغة٢/٤٧٣ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

باتباع طريقهم،

{والله بما يعملون محيطٌ} فيجازيهم عليها

## المعنى الأجمالى للآيات

هذه الصورة التي يريدنا الله أن نلتفت إليها، فقد أمرهم الله أن يثبتوا في القتال، والقتال يحتاج إلى قوة وإلى عدم تنازع وإلى صبر على القتال خصوصاً إذا كان عدوك صابراً شديد البأس.

ففي المعركة يريد الله من المؤمنين الثبات في القتال وعدم الفرار وذكر الله كثيراً، وعدم التنازع حتى لا تضيع قوة المؤمنين، ويوصيهم بالصبر؛ لأن عدوهم قد يكون صابرا، فلا بد أن يمتلك المؤمن رصيداً من الجلد والصبر؛

يُمكّنه من هزيمة عدوه،

## ما يتعلق بالآيات من أحكام

**حكم الثبات فى القتال:**

**قال الإمام الرازى - رحمه الله -**

(إن قيل فهذه الآية توجب الثبات على كل حال وهذا يوهم أنها ناسخة لآية التحرف والتحيز،

قلنا هذه الآية توجب الثبات في الجملة والمراد من الثبات الجد في المحاربة وآية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول الثبات في المحاربة بل كان الثبات في هذا المقصود لا يحصل إلا بذلك التحرف والتحيز) [1].

أقول وبالله التوفيق:

الثبات عند المحاربة والمقاتلة لا دخل فيه لآية التحرف والتحيز بل ربما كان الثبات لا يحصل إلا بذلك التحرف والتحيز لقوله بعد ذلك

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥/١٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورسوله ) يعني في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو

ول العلماء في الذكر الوارد في الآية (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)

يه هذا الذكر ثلاثة أقوال: الأول - اذكروا الله عند جزع قلوبكم،

فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد.

الثاني - اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يمكن

عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على

بر، وتثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: " ربنا

رغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين " [

لبقرة: ٢٥٠ ].

وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي

لشجاعة المحمودة في الناس.

**الثالث** - أذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم

وثمنه لكم. قلت: والاظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان.

**قال محمد بن كعب القرظي:** لو رخص لاحد في ترك الذكر لرخص

لزكريا، يقول الله عز وجل: " **ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك**

**كثيرا** " [ آل عمران: ٤١ ].

ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عزوجل: " إذا لقيتم فئة

فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ".

**وقال قتادة:** افترض الله عزوجل ذكره على عباده، أشغل ما يكونون

عند الضراب بالسيوف.

وحكم هذا الذكر أن يكون خفيا، لان رفع الصوت في مواطن القتال

ردئ مكروه إذا كان الذاكر واحدا.

فأما إذا كان من الجميع عند الحملة فحسن، لانه يقت في أعضاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العدو [١].

## أقول وبالله التوفيق:

ذكر الله فى هذا الموضع، هو ذكره باللسان، فهو يتضمن ذكر القلب أيضا لأنه إذا ذكر بلسانه فقد ذكر بقلبه وبلسانه، وسمع الذكر بسمعه، وذكّر من يليه بذلك الذكر، فكلها فوائد زائدة على ذكر القلب والدليل على ذلك أن ذكر اللسان يوصف بالكثرة، أما الذكر بالقلب فوصف بالقوة.

## ما يترتب على النزاع من الفشل والضعف

### قال الإمام الرازى - رحمه الله -

(بين تعالى أن النزاع يوجب أمرين أحدهما أنه يوجب حصول الفشل والضعف والثاني قوله وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وفيه قولان الأول المراد بالريح الدولة شبهت الدولة وقت نفاذها وتمشية أمرها بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان إذا آلت له الدولة ونفد أمره الثاني أنه لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث ( نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ) [٢]. والقول الأول أقوى لأنه تعالى جعل تنازعهم مؤثراً في ذهاب الريح ومعلوم أن اختلافهم لا يؤثر في هبوب الصبا قال مجاهد وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ أي نصرتكم وذهبت ريح أصحاب محمد حين تنازعوا يوم أحد[٣].

أقول وبالله التوفيق:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٣.

(٢) صحيح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء باب ريح الصبا والدبور حديث(٢١٢٤) عن ابن عباس ج ٣/٢٧

المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابور بط دار الجيل بيروت.

(٣) مفاتيح الغيب ١٥/١٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورد النهى عن التنازع لأنه يصرف الأمة عن التوجه إلى عمل واحد فيه نفع للجميع، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو، كما قال{حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ}.

آل عمران[١٥٢]أما قوله تعالى " ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم " فإنها تتضمن الطعن على كفار قريش والنهي لجماعة المؤمنين عن سلوك سبيلهم.

**ما ترشد إليه الآيات**

**أولا** - الثبات في وجه العدو والصمود في القتال ،و ذكر الله تعالى تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ودعاء وضراعة.

**ثانيا** - طاعة الله ورسوله ،ويدخل فيه طاعة قائد المعركة فهومن أكبر عوامل النصر.

**ثالثا** - النهي عن التنازع أعم من الأمر بالطاعة لولاة الأمور: لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي.

**رابعا** - التنازع يفضى إلى الفشل لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر.

**خامسا** - النهى الصريح للمؤمنين والتحذير من سلوك سبيل الكافرين فى البطر والأشر والرياء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المبحث السابع
# توحيد الأمة وتحريضها على القتال

قال الله - تعالى -

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يا أيها
حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا
وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥)
الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا
مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)

## مناسبة الآيات لما قبلها

لما صرح بأن الله كافيه، وكانت كفاية الله للعبد أعظم المقاصد، ولكن
الأنفس إلى أنه هل كفيه مطلقاً أو هو فعل مع المؤمنين أيضاً مثل ذلك، فأتبع
بقوله معبراً بوصف النبوة الذي معناه الرفعة والاطلاع من جهة الله على ما
يعلمه العباد، لأنه في سياق الإخبار ببعض المغيبات والتصرف في الملكوت:
(يأيها النبي) أي العالي القدر الذي نعلمه بعواقب أموره.
( حسبك ) أي كافيك ( الله ) أي الذي بيده كل شيء ( ومن ) أي مع
من ( اتبعك من المؤمنين ) [1].

## سبب نزول الآيات:

قال الإمام السيوطي - رحمه الله -
قوله تعالى( يا أيها النبي حسبك الله...)الآية ك روى البزار بسند
ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما أسلم عمر قال المشركون

---

١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣/٢٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فانصف القوم منا اليوم وانزل الله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وله شواهد (ك) وأخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا وإمرأة ثم أن عمر أسلم فكانوا أربعين نزل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين الآية (ك) وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال لما أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر نزلت يا أيها النبي حسبك الله وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال لما أسلم عمر أنزل الله في إسلامه يا أيها النبي حسبك الله الآية، وأقول: إن صح أن سبب نزول هذه الآية هو إسلام عمر بن الخطاب ﷺ فهو لا يمنع القول بمدنية السورة إذ أن مدنيتها تكون بالنظر إلى الأعم الأغلب فيها. وهذا لا ينفي أن كل من اتبع الرسول ﷺ من المؤمنين مندرج تحت عمومها إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله تعالى إن يكن منكم عشرون صابرون الآية أخرج إسحق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة ثقل ذلك عليهم وشق فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين فأنزل الله ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين.... إلى آخر الآية﴾ (١).

## التحليل اللفظي

(حَسْبُكَ) وأمّا حَسْب مَجْزُومٌ فمعناه كَفَى، تقول: حَسْبك ذَاكَ أي كَفَاكَ ذَاكَ، وأنشد ابن السكيت:

ولم يكن مَلَكٌ للقوم يُنْزِلُهم ... إلا صَلَاصِلُ لا تُلْوَى على حَسَبِ

قال: قوله: لا تُلْوَى على حَسَب أي يُقْسَم بينهم بالسَّوِيَّة لا يُؤْثَرُ بـ

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول ١/ ١٠٠، ١٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحدٌ، وقيل: لا تلْوى على حسب أي لا تلْوى على الكفاية لعوز لها.

ويقال أحْسبني ما أعْطاني أي كفاني.

وقال الفرّاء في قول الله عزّ وجلّ: ( يا أيُّها النَّبيُّ حسبُك الله ومَنِ اتَّبعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) ( الأنفال: ٦٤ ) جاء في التفسير: يكفيك الله ويكفي مَنِ اتَّبعَك، قال: وموضع الكاف في حسْبُك وموضع مَنْ: نصب على التفسير كما قال الشاعر:

إذا كانت الهَيْجَاءُ وانْشَقَّتِ العَصَا فَحَسْبُك والضَّحَّاك سيْفٌ مُهَنَّدُ

**وقال أبو العَبّاس:** معنى الآية: يكفيك الله ويكفي مَنِ اتَّبعك[1].

( حرض المؤمنين) التَّحْرِيض التَّحْضِيض قال الجوهري التَّحْرِيض على القتال الحَثُّ والإحْماءُ عليه قال اللّه تعالى يا أيها النبيُّ حرِّض المؤمنين على القِتال قال الزجاج تأْويله حُثَّهم على القتال قال وتأْويل التَّحْرِيض في اللغة أن تحُثَّ الإنسان حَثّاً يعلم معه أنه حارِضٌ إنْ تخلَّف عنه قال والحارِضُ الذي قد قارب الهلاك قال ابن سيده وحَرَّضَه حَضَّه وقال اللحياني يقال حارَضَ فلان على العمل وواكَبَ عليه وواظَبَ وواصَبَ عليه إذا داوَمَ القتال فمعنى حَرِّض المؤمنين على القتال حُثَّهم على أن يُحارِضُوا أي يُداوِمُوا على القتال حتى يُثْخِنُوهم) [2].

## المعنى الإجمالى للآيات

فى هذه الآيات الكريمات نادي المولى - تبارك وتعالى- رسوله الكريم بالنبوة التي شرفه بها على سائر الناس فقال {يا أيها النبي} و أخبره مطمئناً له ولأتباعه من المؤمنين بأنه كافيهم أمر أعدائهم فما عليهم إلا أن

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ٨٩٩/٢ عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري.

(٢) تهذيب اللغة١٩٢/٤.

(٣) لسان العرب١٣٣/٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دام الله تعالى ناصرهم ومؤيدهم عليهم، فقال: {حسبك الله ومن
لمؤمنين} ثم ناداه ثانيا{يا أيها النبي} ليأمره بالأخذ بالأسباب
صر بإذن الله تعالى وهي تحريض المؤمنين على القتال وحثهم
يهم فيه فقال {حرض المؤمنين على القتال} وأخبره أمراً له
مؤمنين بأنه وجد منهم في المعركة {عشرون صابرون يغلبوا
ن يكن منهم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الكافرين، معللا ذلك
بأنهم قوم لا يفقهون} فالكافرون لا يفقهون هذا فهم لا يصبرون
لأنهم يقاتلون لأجل حياتهم فقط فإذا خافوا عليها تركوا القتال

،

ف المولى تبارك وتعالى عليكم بعد علمه بضعفكم حيث لا يقوى
قتال عشرة، ولا العشرة على قتال مائة ولا المائة على قتال
خ الحكم الأول بالثاني الذي هو قتال الواحد للاثنين، والعشرة
المائة للمائتين، والألف للألفين.

## تعلق بالآيات من أحكام

### كرار بين هذه الآية وسابقتها:

المولى تبارك وتعالى لرسوله فى الآيات السابقة [وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ
فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ] (٦٢) وقال هنا
لنَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ..]ولا تكرر بين الآيتين لأن لكل واحدة منهما
خاص الذى سيقت له، قال الإمام الرازى- رحمه الله-
علم أنه تعالى لما وعده بالنصر عند مخادعة الأعداء وعده بالنصر
في هذه الآية مطلقاً على جميع التقديرات وعلى هذا الوجه لا يلزم
التكرار لأن المعنى في الآية الأولى إن أرادوا خداعك كفاك الله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمرهم والمعنى في هذه الآية عام في كل ما يحتاج إليه في الدين والدنيا، فسياق الآية السابقة يقتضى أن الله كافيه عند مخادعة الأعداء،وأما سياق هذه الآية فيقتضى أن الله كافيه فى كل ما يحتاج إليه في الدين والدنيا.

## شرط كفاية الله لرسوله

كفاية الله لرسوله بنصره على أعداءه مشروط بتحريضه للمؤمنين على القتال،كما أن كفاية الله للمؤمنين مشروط بحصول بذل النفس والنفيس فى الجهاد فى سبيل الله - تعالى- يقول الإمام الرازى - رحمه الله-

(ثم بين أنه تعالى وإن كان يكفيك بنصره وبنصر المؤمنين فليس من الواجب أن تتكل على ذلك إلا بشرط أن تحرض المؤمنين على القتال فإنه تعالى إنما يكفيك بالكفاية بشرط أن يحصل منهم بذل النفس والمال في المجاهدة) (٢).

## الكلام أمر وإن كان وارداً بلفظ الخبر

قوله تعالى(إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ) وإن كان على صورة الخبر لكنه يحمل على الأمر فكلمة (صابرون) خبر على صورة الأمر ليصبروا ويدل على ذلك عدة أمور ذكرها الإمام الرازى فى تفسيره (إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ )ليس المراد منه الخبر بل المراد الأمر كأنه قال إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ والذي يدل على أنه ليس المراد من هذا الكلام الخبر وجوه الأول لو كان المراد منه الخبر لزم أن يقال

إنه لم يغلب قط مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين ومعلوم أنه باطل الثاني أنه قال الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ ( الأنفال ٦٦ ) والنسخ أليق

---

(١) مفاتيح الغيب١٥/١٥٣.

(٢) مفاتيح الغيب١٥/١٥٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمر منه بالخبر الثالث قوله من بعد وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ( الأنفال ٦٦ )
لك ترغيباً في الثبات على الجهاد فثبت أن المراد من هذا الكلام هو
ر وإن كان وارداً بلفظ الخبر وهو كقوله تعالى( وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ
نَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) ( البقرة ٢٣٣ ) (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ)
بقرة ٢٢٨ ) [١].

## هل الآية منسوخة أو محكمة؟

جاء الناسخ فى هذه الآية الكريمة على وفق المنسوخ، فقابل ثبات
رين للمائتين بنسخه إلى ثبات مائة واحدة للمائتين ،وقابل ثبات عدد
ة من المسلمين لألف من المشركين بثبات ألف من المسلمين لألفين من
ركين، للإشارة إلى أن جيش المسلمين كان يعد بالمئات فأصبح يعد
لاف.

(قوله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال هذا محكم
نسوخ قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الى آخر الآية
ن فرضا على الرجل أن يقاتل عشرة فمتى فر كان مواليا للدبر فعلم الله
ى عجزهم فيسر وخفف فنزلت الآية التي بعدها فصارت ناسخة لها فقال
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا والتخفيف لا يكون إلا من ثقل
ر فرضا على الرجل أن يقاتل رجلين فان انهزم منهما كان موليا للدبر
انهزم عن أكثر لم يكن موليا للدبر بدليل ظاهر الآية) [٢].

## قال ابن عطية -رحمه الله-

(تظاهرت الروايات عن ابن عباس وغيره من الصحابة بأن ثبوت

---

مفاتيح الغيب١٥/١٥٤.

الناسخ والمنسوخ١/٩٤،٩٥

المؤلف: هبة الله بن سلامة بن نصر المقري.

المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الواحد للعشرة كان فرضا من الله عز وجل على المؤمنين ثم لما شق عليهم حط الفرض إلى ثبوت الواحد للاثنين،

قال القاضي أبو محمد وهذا هو النسخ لأنه رفع حكم مستقر بحكم آخر شرعي وفي ضمنه التخفيف إذ هذا من نسخ الأثقل بالأخف)[1].

**أقول وبالله التوفيق:**

اختلف العلماء حول القول بأن آية ثبات الواحد أمام الاثنين ناسخ إن ثبات الواحد أمام العشرة قال بذلك كثير من المفسرين منهم ابن عطية وغيره،والبعض الآخر قال ليس هذا من قبيل النسخ وإنما هو من قبيل تخفيف الحكم والتخفيف لا يسمى نسخا، يقول صاحب البحر المحيط(ثبات الواحد للعشرة كان فرضاً لما شقّ عليهم انتقل إلى ثبات الواحد للاثنين على سبيل التقرّب أيضاً، وسواء كان فرضاً أم ندباً هو نسخ وقول من قال: إنه تخفيف لا نسخ كمكي بن أبي طالب ضعيف، قال مكي: إنما هو كتخفيف الفطر في السفر ولو صام لم يأتم وأجزأه)

أميل إلى القول الذى قال به الشيخ الشعراوى _رحمه الله_ (وهل معنى ذلك أن الآية الأولى قد نسخت؟ نقول: لا، ولكن الآية الثانية أعطت حالات الأغيار والضعف البشري وحسب لها حساباً. ولذلك نجد الحكم الأول قائما وهو الحد الأعلى، كما أن الحكم الثاني - أيضاً - قائم وهو الحد الأدنى، فإذا لقي مؤمن ثلاثة كفار وفر منهم لا يعدُّ فارّاً ولا يؤاخذه الله على ذلك. لكن إن واجهه اثنان فانسحب وتركهما يعتبر فارّاً؛ لأن الحد الأدنى هو واحد لاثنين. وتكون هذه أقل نسبة موجودة. والنسب تفاوت بين واحد إلى اثنين حتى واحد إلى عشرة، حسب قوة الصبر وقوة جسم وعدم التحيز إلى فئة. وبطبيعة الحال نعلم أن القوي قد يصير ضعيفاً.

---

[1] المحرر الوجيز ٢/٦٣٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك فإن بعضاً من النفوس قد تضيق بالصبر، وأيضاً حين زاد عدد المؤمنين، فمن المحتمل أن يتكل بعضهم على بعض. ولكنهم عندما كانوا قلة، كان كل واحد منهم يبذل أقصى قوته في القتال للدفاع عن عقيدته.

والمشرع لا يشرع للمؤمنين بما يحملهم ما لا يطيقون، ولكنه يشرع بما ليخفف عنهم، والمثال على ذلك نجد أن الله قد أباح الإفطار في رمضان إذا كان الإنسان مريضاً أو على سفر، وكذلك شرع الحق تبارك وتعالى قصر الصلاة أثناء السفر، إذن فالمشرع قد عرف مواطن الضعف في النفس البشرية التي تجعلها لا تقوى على التكليف. وفي هذه الحالة يقوم المشرع ذاته بالتخفيف، ولا يتركنا نحن لنخفف كما نشاء[1].

بين الآيتين نسخا والآية الثانية متأخرة عن الأولى في النزول تجاورهما لا يعتبر مقارناً في النزول والمنسوخ هو الحكم الواجب في الآية الأولى فلما نسخ الوجوب بقيت الإباحة والجواز فليس النسخ إلغاء منعا من العمل بالحكم في كل الأمثلة.

## علة الغلبة على الكفار

**قال العلامة أبو حيان** – رحمه الله –(نصّ تعالى على سبب الغلبة أن الكفار قوم لا يفقهون، والمعنى أنهم قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته فهو تعالى يخذلهم وذلك بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو موعود من الله بالنصر والغلبة )[2].

(بين تعالى علة الغلبة وهو قوله (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ) وتقريره من وجوه:

**الوجه الأول:** أن من لا يؤمن بالله ولا يؤمن بالمعاد فإن غاية

---

(١) تفسير الشيخ الشعراوي٨/٤٧٩١.

(٢) تفسير البحر المحيط٤/٤٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السعادة والبهجة عنده ليست إلا هذه الحياة الدنيوية ومن كان هذا معتقده
يشح بهذه الحياة ولا يعرضها للزوال أما من اعتقد أنه لا سعادة في
الحياة وأن السعادة لا تحصل إلا في الدار الآخرة فإنه لا يبالي بهذه الحي
الدنيا ولا يلتفت إليها ولا يقيم لها وزناً فيقدم على الجهاد بقلب قوي و
صحيح ومتى كان الأمر كذلك كان الواحد من هذا الباب يقاوم العدد الكث
من الباب الأول

**الوجه الثاني** أن الكفار إنما يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يستعينون بربهم بالدعاء والتضرع ومن كان كذلك كان النصر والظفر به أليق وأولى[1].

## أقول وبالله التوفيق:

دلت الآيات الكريمة على أن المؤمنين أعلم من الكافرين وأفقه منهم بكل علم وفن يتعلق بشأن الحرب وفن القتال وحياة البشر وارتقاء الأمم، وأن حرمان الكفار من هذا العلم هو السب فى كون المائة منهم دون العشرة من المؤمنين الصابرين المجيدين لفنون الحرب واستعمال آلته

## ما ترشد إليه الآيات

١- الله عز وجل هو الحسيب والكافى، ومن زعم غير ذلك فقد أشرك بالله.
٢- تحريض المؤمنين وحثهم على القتال فى سبيل الله في كل زمان ومكان.
٣- سبب نصر المؤمنين و غلبتهم أن الكفار قوم لا يفقهون.
٤- لا يفر المؤمن من الواحد و من الاثنين، ويجوز ما فوق ذلك.
٥- رحمة الله تعالى بالمؤمنين حيث خفف عنهم مواقف الشدة رأفة بهم.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥/١٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المبحث الثامن

## فضل إضمار الخير والنيات الصالحة

قال الله تعالى:[ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ
ي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
(٧١)]

### مناسبة الآيتين لما قبلهما:

ل الإمام الرازى _رحمه الله_ (اعلم أن الرسول لما أخذ الفداء من
ى وشق عليهم أخذ أموالهم منهم ذكر الله هذه الآية استمالة لهم فقال(
نَبِيُّ قُل لِّمَن فِى أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى...) (١).

### سبب النزول :

له تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى } { ٧٠ }
ل الكلبي: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب
ن الحارث، وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من
كان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة
منوا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلغته النوبة حتى أسر، فأخذت منه
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه، قال: فكلمت رسول الله -
له عليه وسلم
أن يجعل لي العشرين الأوقية الذهب التي أخذها مني فداء، فأبى
ال: "أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا"، وكلفني فداء ابن أخي
ن أبي طالب عشرين أوقية من فضة، فقلت له: تركتني والله أسأل
بكفي والناس ما بقيت، قال: "فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥/١٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قبل مخرجك إلى بدر وقلت لها: إن حدث بي حدث في وجهي هذا
ولعبد الله والفضل وقثم"؟ قال: قلت: وما يدريك؟ قال: "أخبرني الله
قال: أشهد أنك لصادق وإني قد دفعت إليها ذهبا ولم يطلع عليها
الله، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، قال العباس: فأعط
خيرا مما أخذ مني، كما قال: عشرين عبدًا كلهم يضرب بمال كثير
العشرين أوقية، وأنا أرجو المغفرة من ربي.) (١).

(اختلف المفسرون في أن الآية نازلة في العباس خاصة أو في
الأسارى قال قوم إنها في العباس خاصة وقال آخرون إنها نزلت في
وهذا أولى لأن ظاهر الآية يقتضي العموم من ستة أوجه أحدها قول
لِّمَن فِي أَيْدِيكُم) وثانيها، قوله( مِّنَ الأَسْرَى) وثالثها، قولـه( فِـي قُلُـ
ورابعها، قوله (يُؤْتِكُمْ خَيْراً ) وخامسها ،قوله مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وسادسها،
وَيَغْفِرْ لَكُمْ) فلما دلت هذه الألفاظ الستة على العموم فما الموجب للتخص
أقصى ما في الباب أن يقال سبب نزول الآية هو العبـاس إلا أن العبـ
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) (٢). قلت:ما ذكره الإمام الـرازي
العموم أولى من قصر الآية الكريمة على سبب خاص فسياق الآية بشـ
للعموم فلا وجه للتخصيص والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السـبب.و
أعلم

---

(١) أسباب النزول ١/٢٣٢.

(٢) مفاتيح الغيب ١٥/١٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التحليل اللفظي:

الأسرى) والأسير الأخيذ يشد أو لم يشد من الإسار وهو القد ومنه الأسير وكانوا يشدونه بالقد فغلب على الأخيذ أسيرا وإن لم يشد به أسرت الرجل أسرا وإسارا فهو أسير ومأسور والجمع أسرى أسارى) (١).

وجاء في لسان العرب:

أسير ومأسور والجمع أَسْرى وأُسارى وتقول اسْتَأْسِرْ أي كن أسيراً والأَسيرُ الأَخِيذُ وأَصله من ذلك وكلُّ محبوس في قدٍّ أَو سِجْنٍ أَسيرٌ قوله تعالى ويطعمون الطعام على حُبِّه مسكيناً ويتيماً وأَسيراً قال مجاهد الأَسير المسجون والجمع أُسَراءِ وأُسارى وأَسارى وأَسرى قال ثعلب ليس أَسْر بعاهة فيجعل أَسرى من باب جَرْحى في المعنى ولكنه لما أُصيب الأَسر صار كالجريح واللديغ فكُسِّرَ على فَعْلى كما كسر الجريح ونحوه هذا معنى قوله ويقال للأَسير من العدوّ أَسير لأَن آخذه يستوثق منه بالإِسار وهو القِدُّ لئلا يُفلِتَ قال أَبو إِسحق يجمع الأَسير أَسرى قال وفَعْلى جمع لكل ما صيبوا به في أَبدانهم أَو عقولهم مثل مريض ومَرْضى وأَحمق وحمقى وسكران وسَكْرى قال ومن قرأَ أَسارى وأُسارى فهو جمع الجمع يقال أَسير وأَسْرَى ثم أَسارى جمع الجمع ) (٢).

(وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ) (خان)الشيء خونا وخيانة ومخانة نقصه يقال خان الحق وخان العهد وفيه والأمانة لم يؤدها أو بعضها وفلانا غدر به

---

(١) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ١/١٨٨
قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي
دار الوفاء جدة الطبعة الأولى، ١٤٠٦
تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي.

(٢) لسان العرب ٤/١٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النصيحة لم يخلص فيها ويقال خانه سيفه نبا عنه الضربية وخانته رجلا
م يقدر على المشي وخانه ظهره ضعف ومنه إن في ظهره لخونا وخسل
رشاء الدلو انقطع وخانه الدهر غير حاله من اللين إلى الشدة وخانته عين
طر نظرة مريبة أو مختلسة فهو خائن وخائنة ( بتاء المبالغة ) ( ج ) خان
خوان وخونة وهو خوان وهو وهي خئون

(خون) الشيء نقصه ويقال خون منه وفلانا نسبه إلى الخيانة وتعهده

(اختانه) خانه وحاول خيانته ويقال اختان المال واختان النفس وفي
نزيل العزيز) (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم)

(تخون) صار خائنا والشيء تنقصه ويقال تخون فلان حقي وتخونني
ي إذا نقصه شيئا فشيئا ويقال تخونه الدهر خانه وفلانا اتهمه بالخيانة
مس خيانته وعثرته

( الخائنة ) اسم بمعنى الخيانة وهو من المصادر التي جاءت على لفظ
علة كالعاقبة وفي التنزيل العزيز ) يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور
هي النظرة المريبة أو المختلسة) (١).

## المعنى الإجمالى للآيتين:

{ ياأيها النبي قُل لِّمَن في أَيْدِيكُمْ } أى: قل للذين تحت تصرف أيديكم
سرى المشركين فى بدر الذين أخذتم منهم الفداء لتطلقوا سراحهم
{ إِن يَعْلَمِ الله فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً } أى: إيماناً وتصديقاً وعزماً على اتباع
ونبذ الكفر والعناد { يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ } بأن يخلفه عليكم فى
ويمنحكم الثواب الجزيل فى الآخرة.

---

جم الوسيط ــ ٢٦٣/١

راهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار
دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

{ويغفر لكم} على الدخول فى الإيمان.ثم أنذرهم بسوء العاقبة إن
ردوا الخيانة فقال جل شأنه{ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ الله مِن قَبْلُ
أمكن منهم} فهذا إنذار لهم بسوء المصير إذا استمروا فى عنادهم
وغدرهم، وبشارة من الله لرسوله والمؤمنين بأن العاقبة ستكون لهم.
إن نقض هؤلاء الأسرى عهودهم معك والاستمرار فى محاربتك
ومعاداتك فلا تجزع من خيانتهم فهم قد خانوا الله من قبل بكفرهم وجحودهم
لنعمه فكانت نتيجة ذلك أن أمكنك منهم، وأظفرك بهم، وسينصرك عليهم
بعد ذلك كما نصرك عليهم فى بدر.وقد كانت خيانتهم وبالا عليهم فأمكن
المؤمنين منهم ونصرهم عليهم فى بدر وفى مواطن كثيرة بعدها ، فعلى
المؤمنين فى كل زمان ومكان أن يجعلوا جهادهم خالصاً لوجه الله ومن
أجل إعلاء كلمته ونصرة دينه، بأن يبالغوا فى قتال أعدائه وأعدائهم إذلالا
للكفر وإعزازاً للحق، وأن يؤثروا كل ذلك على أعراض الدنيا ومتعها.

## ما يتعلق بالآيتين من أحكام:

### أقوال المفسرين في المراد بالخير

**القول الأول:** المراد الخلف مما أخذ منهم في الدنيا قال القاضي لأنه
تعالى عطف عليه أمر الآخرة بقوله وَيَغْفِرْ لَكُمْ فما تقدم يجب أن يكون المراد
منه منافع الدنيا، ولقائل أن يقول إن قوله وَيَغْفِرْ لَكُمْ المراد منه إزالة العقاب.

وعلى هذا التقدير لم يبعد أن يكون المراد من هذا الخير المذكور
أيضاً الثواب والتفضل في الآخرة

**والقول الثاني:** المراد من هذا الخير ثواب الآخرة فإن قوله وَيَغْفِرْ
لَكُمْ المراد منه في الآخرة فالخير الذي تقدمه يجب أيضاً أن يكون في الدنيا

**والقول الثالث:** أنه محمول على الكل فإن قيل إذا حملتم الخير على
خيرات الدنيا فهل تقولون إن كل من أخلص من الأسارى قد آتاه الله خيراً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مما أخذ منه

قلنا هكذا يجب أن يكون بحكم الآية إلا أنا لا نعلم من المخلص
حتى يتوجه علينا فيه السؤال ولا نعلم أيضاً من الذي آتاه الله علما
علمنا أن قليل الدنيا مع الإيمان أعظم من كثير الدنيا مع الكفر[1].

**أقول وبالله التوفيق:**

ويدخل فى الخير أيضا طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكـ
والتوبة عن الكفر و المعاصي ويدخل فيه نصرة الرسول وعدم محاربته، ف
علم الله – تعالى – فى قلوبهم الخير من صحة الإيمان وإخلاص النية أع
خيرا مما أخذ منهم والأولى حمل الخير على خيرات الدنيا والآخرة.

**شبهة القول ( لا يعلم الله الشيء إلا بحدوثه)**

(احتج هشام بن الحكم على قوله إنه تعالى لا يعلم الشيء إلا عند
حدوثه بهذه الآية لأن قوله( إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً )فعل كذا وك
شرط وجزاء والشرط هو حصول هذا العلم والشرط والجزاء لا يص
وجودهما إلا في المستقبل وذلك يوجب حدوث علم الله تعالى

**والجواب:** أن ظاهر اللفظ وإن كان يقتضي ما ذكره هشام إلا أنه لما
دل الدليل على أن علم الله يمتنع أن يكون محدثاً وجب أن يقال ذكر العلـ
وأراد به المعلوم من حيث إنه يدل حصول العلم على حصول المعلوم) [2].

**أقول وبالله التوفيق:**

هذه شبهة باطلة وقول مردود على صاحبه ،كيف يتجرأ ويأخذ من
ظاهر الآية ما أشار إليه،ولقد غاب عن علمه أن لله عز وجل صفات كثيرة
منها صفة العلم وهى صفة إحاطة وانكشاف، فالله عز وجل يعلم بواطن

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥/١٦٤.

(٢) مفاتيح الغيب ١٥/١٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إخفاء بطواهرها، ويعلم دقائق الأمور وجلائلها، يعلم خائنة الأعين وما
تخفي الصدور
وعلم المولى - تبارك وتعالى - قديم أزلي كوجوده، وقد أحسن الإمام
فخر الدين الجواب عند ما قال ذكر العلم وأراد به المعلوم، والله أعلم

## الأقوال الواردة في الخيانة:

والخيانة هي كونهم أظهر الإسلام بعضهم ثم ردّوا إلى دينهم فقد خانوا الله لخروجهم مع المشركين، وقال الكرماني: وإن يريدوا يعني الأسرى خيانتك يعني نقض ما عهدوا معك فقد خانوا الله بالكفر والشكر قبل العهد، وقيل: قبل بدر فأمكن منهم أو فأمكنك منهم وهزمتهم وأسرتهم،

وقال الزمخشري: خيانتك أي ينكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما أخذ على كلّ عاقل من مشاقّه فأمكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة، وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء، وقال ابن عطية: إن أخلصوا فعل بهم كذا وإن أبطنوا خيانة ما رغبوا أن يؤتمنوا عليه من العهد فلا يسرّهم ذلك ولا يسكنون إليه فإن الله بالمرصاد فهم الذين خانوه بكفرهم وتركهم النّظر في آياته وهو قد بيّنها لهم وجعل لهم إدراكاً يحصلونها به فصار ذلك كعهد متقرّر فجعل جزاؤهم على خيانتهم إياه أن مكّن منهم المؤمنين وجعلهم أسرى في أيديهم والله عليم بما يبطنونه من إخلاص أو خيانة حكيم فيما يجازيهم انتهى، وقيل الضمير في وإن يريدوا عائد على الذين قيل في حقهم: وإن جنحوا للسلم أي وإن يريدوا خيانتك في إظهار الصّلح والجمهور على أن الضمير في وإن يريدوا عائد على الأسرى، وروي عن قتادة: إن هذه الآية في قصة عبد الله بن أبي سرح فإن كان قال ذلك على سبيل التمثيل فيمكن، وإن كان على سبيل أنها نزلت في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك فلا لأنه إنما بيّن أمره في فتح مكة وهذه نزلت عقيب بدر)[1].

أقول وبالله التوفيق:

أمر الله- تعالى- رسوله- صلى الله عليه وسلم- أن يقول لمن أطلق
فعل بهم كذا وكذا وإن أبطنوا خيانة ما رغبوا أن يؤتمنوا عليه من العهد
يسرهم ذلك لأن الله بالمرصاد فقد خانوه من قبل بكفرهم فجعل جزاؤهم
خيانتهم إياه أن مكن المؤمنين منهم وجعلهم أسرى في أيديهم. والله أعلم

## ما ترشد إليه الآيتان

١- بيان فضل العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على القول بأن الآيات نزلت في حقه وشأنه والعموم أولى.

٢- بيان فضل إضمار الخير والنيات الصالحة.

٣- إطلاق لفظ الخير على خيرى الدنيا والآخرة أولى من قصره على أحدهما

٤- بيان أن الجزاء من جنس العمل فمن ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه.

٥- بيان أن الله جل جلاله: غالب على أمره ولا يعجزه شيئ فى الأرض
ولا فى السماء،فلما خانوا الله من قبل مكن المؤمنين منهم ،فنصرهم
عليهم فى مواطن كثيرة.

٦ - إذا تكلم الكافر بالإيمان فى قلبه وبلسانه ولم يمض فيه عزيمة لم يكن
مؤمنا، وإذا وجد مثل ذلك المؤمن كان كافرا إلا ما كان من الوسوسة
التى لا يقدر المرء على دفعها، فإنالله قد عفا عنها وأسقطها

٧ - أن الإيمان لا يكون صحيحا إلا إذا صاحبه التصديق والإذعان.

---

١) تفسير البحر المحيط٤|٥١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الخاتمة

الحمد لله رب العالمين له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين وشفيعنا يوم الدين، وبعد،،

فبعون الله وتوفيقه انتهيت من هذه الدراسة التى لم آلُ فيها جهداً، ولـ لخر فيها وسعاً وطاقة راجياً المولى جل ذكره وعز سلطانه أن يجعل هذ لعمل خالصاً لوجهه الكريم ينتفع به طلاب العلم، ويأخذ بأيديهم إلى الطريق لمستقيم، ويثيبنى على اجتهادى، فهذا جهد المقل وعذرى أن الكمال لغير ذى لجلال محال، فالمرء غير معصوم والنسيان من طبع الإنسان.

**وقد توصلت من خلال هذا البحث المتواضع الى الأمور الآتية:**

أولا - حرمة الفرارمن الزحف لكنه يجوز عند الضرورة في غير الحالتين اللتين أشارت إليهما الآية كأن يحيط العدو بالجيش أو يقطع الطريق على المجاهدين.

ثانيا - ينهانا المولي - تبارك وتعالى -أن نكون مثل الذين قالوا: " سمعنا وقال فى حقهم لا يسمعون، لأنهم سمعوا ولم يلتفتوا فسماعهم كعدمه.

ثالثا -: النهى عن خيانة الله -سبحانه وتعالى -وخيانة الرسول -صلى الله عليه سلم وخيانة الأمانات كما صنع المنافقون في خيانتهم.

رابعا - الحث على تقوى الله -تعالى - والترغيب فيها فهى تجعل لصاحبها الفرقان وتكفر عنه الذنوب والآثام.

خامسا - الحسيب والكافى هو الله -تعالى - ومن يزعم غير ذلك فقد أشرك بالله إن اعتقد ذلك ودان به.

سادسا - بيان عظيم فضل الله تعالى فمن أضمر الخير والنية الصالحة فإن الله يعوضه خيرا فى الدنيا والآخرة.

والحمد لله أولا وآخرا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجع والمصادر


القرآن الكريم

جل من أنزله

أحداث أهل القرآن ٣ للإمام محمد بن الحسين بن عبد
الآجري . ط٢ – دار نعمان ١٩٩٤ م .

أسباب النزول المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد
ن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق
بن عبد المحسن الحميدان

أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء
سم بن عبد الله بن أمير علي القونوي
الوفاء جدة الطبعة الأولى، ١٤٠٦
قيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير
ابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري
بة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية
بعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

البداية فى التفسير الموضوعى ا.د عبد الحى الفرماوي
حر العلوم – أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي
ي
النشر: دار الفكر – بيروت تحقيق: د.محمود مطرجي

حر المحيط محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي
دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م

حر المديد أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني


الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزبيدي
الشاذلي الفاسي أبو العباس ط دار الكتب العلمية – بيروت / ٢٠٠٢
– ١٤٢٣ هـ
●التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن
عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي، بيروت –
لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
●تفسير البيضاوى – عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي،
أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي ط دار الفكر – بيروت
●تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل
علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن
ط دار الفكر – بيروت / لبنان –١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م
● تفسير السراج المنير محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين
ط دار الكتب العلمية – بيروت
●تفسير الشعراوى ط أخبار اليوم(قطاع الثقافة)
●التفسير الموضوعى ومنهج الحق في هداية الخلق ا.د محمود
بسيونى فوده ط الأمانة الأولى١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م.
●تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري
أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ط دار إحياء التراث العربي
●تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر
بن السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق
مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م
●الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى
الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت –
تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❁الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن
الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب – القاهرة

❁الجواهر الحسان في تفسير القرآن
عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي– ط/ مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات – بيروت

❁خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام
أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)
حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل
ط مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت الاولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

❁روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
محمود الألوسي أبو الفضل ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت

❁زاد المسير في علم التفسير تأليف/ عبد الرحمن بن علي بن محمد
الجوزي ط المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة

❁ سنن أبى داود أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني
ط دار الكتاب العربي – بيروت

❁صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم
قشيري النيسابوري الناشر: دار الجيل بيروت

❁صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله
خاري الجعفي الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت

❁غريب الحديث حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو
ليمان الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤٠٢
ق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي

❁فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،
: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت


الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي
دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
الدرّي في شرح أمالي القالي
المؤلف عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري
دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري
دار صادر - بيروت الطبعة الأولى
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن
ابن عطية الأندلسي ط دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ -
عام الطبعة: الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي
مكتبة لبنان ناشرون - بيروت
مسند الإمام أحمد أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ط
سة قرطبة القاهرة
معالم سور القرآن واتحافات درره ا.د جمعة على عبد القادر
كتبة رشوان الطبعة الثانية.
معجم مقاييس اللغةأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
المحقق: عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ -
١٩٧٩م.
المعجم الوسيط
المؤلف: إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر محمد
نجار
دار النشر: دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❁مفاتيح الغيب الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الـ
الشافعي ط دار الكتب العلمية
بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى

❁الناسخ والمنسوخ
المؤلف: هبة الله بن سلامة بن نصر المقري
المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤

❁نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائرجمال الـدين أبـي
رج عبد الرحمن بن الجوزي: ط مؤسسة الرسالة - لبنان / بيـروت -
١٤٠هـ - ١٩٨٤ م تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي

❁نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين أبي الحسن
إبراهيم بن عمر البقاعي
ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

ولله الحمد والمنة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner